من كربلاء إلى القدس
الحسينُ الأبديّ واليزيديّة المعاصرة

عبد الرحمن أبو سنينة

مراجعة وتدقيق

مؤسّسة مشكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

ذات يوم بكيت بشدَّةٍ، وأنا أستمع مصيبة (عبد الله رضيع الحسين)، وطفلي ذو السبعة أشهرٍ بين ذراعيّ (كنَّا وحيدين) يتلوى، ولا تهدأ حركته وبصره باحثاً عن فقدٍ ما.. ليعلو نحيبي، وأعيش بعض بلاءٍ قرّبني من درك عذابات الحسين (عليه السلام) بعياله...

إلى ولدي الأكبر (زين العابدين)، رفيقي الجميل الدائم، الفرح الذي أحياه .. أهدي هذا العمل المتواضع، آملاً أن يكون (زين العابدين) حسينيّاً خليليّاً فلسطينيّاً حرّاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

قِيم عاشوراء الحسين بن فاطمة بنت محمّد عليهم جميعاً أزكى الصلوات والسلام[1]، روافعُ نهضويةٍ للأحرار أينما وجدوا، ولأهل المقاومة الفلسطينية آكد بلا شكّ؛ لأنَّ الاحتياج للفكر الحسينيّ الثوريّ ينبع من حاجتنا إلى قيم النهوض والمقاومة، والانعتاق من جور المستكبرين والمحتلين، فهيا نجد السير مستلهمين ثالوث القيم من مدرسة كربلاء[2]: (الكرامة، والحريّة،

(١) لفظة (عليه السلام) بعد ذكر الخمسة أهل الكساء (السيّدة فاطمة الزهراء، والإمام علي والحسن والحسين من خصوصيّاتهم وخصوصيّات آل البيت، أي: من المستحبّات في حقّهم، ولذلك أدلة كثيرة جداً منها: صيغ الصلاة (الصلاة الإبراهيمية وغيرها) المنقولة عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقد استعمل هذه اللفظة في حقّهم (رضي الله عنهم) أعلام أهل السنّة وأئمّة الحديث، كالبخاري في صحيحه (ج٧، ص٧١ و٧٧ و١٠٥ وغير ذلك)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة (ج٢، ص٥٦٣ و٦٥٢ و٦٦٢ وغير ذلك)، والحافظ ابن حجر في حقّ سيدنا علي (انظر: مقدمة الفتح، ص٤٣٢) وفي حقّ السيّدة فاطمة (ج٦، ص٥٥٢ الفتح) والدارقطني في سننه (ج٣، ص٦٥ و٦٦)، وغيرهم كثير وكثير، كما أفادني بذلك المحّدث السيد حسن بن علي السقاف قبل عشرين عاماً.

(٢) كربلاء: مدينة إسلاميةٌ مشهورةٌ، تمتاز بقدسيّتها، وتاريخها الحافل بالأمور العظام، والتضحيات الجسام، حيث شهدت تربتها واحدة من أنبل ملاحم الشهادة والفداء،

والإصلاح)، فعاشوراء تعلّمنا أنَّ الإنسان أو المجتمع الذي تمتهن كرامته ينبغي عليه السعي والجهاد؛ لرفع الذُّل وصيانة كرامته الإنسانية [والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد](1).

وعاشوراء؛ هي كلُّ يومٍ، وكربلاء هي كلُّ أرضٍ كما أثبتت لنا وقائع التاريخ، تطل علينا كربلاء – كفلسطينيين– من كلّ أبناء العائلات الروحيّة الذين ذاقوا ألم نار الاحتلال والتشريد – بقيمها ودمائها– لكي تدفع الراهن المقاوم نحو التشبث بالكرامة، حتّى لو تطلب الأمر التضحية بالنفس في سبيل ذلك، فحاجتنا لدرس النهضة الحسينية، عينُ حاجتنا إلى قيم الكرامة والعزة الإنسانيّة.

دروس الملحمة الحسينية لا نظير لها في قوّة التأثير والتغيير، وغرس القيم في نفوس الشباب وبالأخصّ المقاومين، فسيّد شباب أهل الجنة الحسين بن علي (عليه السلام) لم ترهبه أو تهزمه الحشود البشرية المدجَّجة بالسلاح التي تجمعت لقتاله، بل زادته عزيمةً على صون كرامة أمَّة جده، والدفاع عن مقدساته، وقِيمه العليا.

ثمَّ لا حرية لمن لا كرامة له، أي: إن الكرامة هي التي تجعل الإنسان يستعد لدفع ثمن الحريّة، وهي التي تجعله يدافع عنها ويحميها؛ لأنَّ الذليل لا

ألا وهي حادثة الطَّف الخالدة، تقع المدينة على بعد ١٠٥ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من العاصمة العراقية بغداد، وتقع على حافّة الصحراء في غربي الفرات وعلى الجهة اليسرى لجدول الحسينية، يحدّها من الشمال محافظة الأنبار، ومن الجنوب محافظة النجف، ومن الشرق محافظة الحلّة وقسم من بغداد، ومن الغرب بادية الشام والعربيّة السعوديّة.

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج٨، ص١٧٨، ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٨٧، الطبري، محمّد جرير، تاريخ الطبريّ، ج٦، ص٢٤٢.

يستطيع أن يحافظ على حقوقه الشخصيّة فضلاً عن حقوق أمّته، والأمّة التي تمتهن كرامتها، ترتهن إرادتها، وتدخل في براثن التبعية للظالمين، وتتنازل عن استقلالها وقرارها لصالح العدو، حتّى لو كان العدو الأوَّل والحضاري للأمَّة يزيد العصر (أمريكا وإسرائيل).

أمَّا الحريّة الحسينية، بل الإسلامية.. فهي التي تعطي المعنى العميق للحرية، فحينما رأى ابن رسول الله الاستئثار، والاستبداد وتكميم الأفواه وإفساد حياة البشرية، وقف في وجه هذه الممارسات معلناً بصوتٍ صريحٍ معارضته لتولّي [يزيد بن معاوية[1]] شؤون الأمّة، وهو القائل: [..إنَّا بيت النبوَّة، ومعدن الرسالة، .. ويزيد رجلٌ فاسقٌ، شارب الخمر، وقاتل النفس

(١) قال ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب، ج٤، ص٤٢٩ طبعة مؤسّسة الرسالة) حول يزيد بن معاوية: «يزيد بن مُعاوية بن أَبي سفيان صَخْر بن حرب بن أُميّة بن عَبْدِ شمس، أَبو خالد، وُلد في خِلافة عُثمان، وعَهِد إليه أَبوه بالخلافة فبُويع سنة ستين، وأبى البيعة عبد الله بن الزُّبير ولاذ بمكة والحُسين بن علي، ونَهض إلى الكوفة، وأَرسل ابن عمه مُسلم بن عَقيل بن أَبي طالب ليُبايع له بها، فَقَتله عُبيد الله بن زياد، وأَرسل الجيوش إلى الحُسَيْن، فقُتِل .. سنة إحدى وستين، ثمّ خرج أهل المدينة على يزيد وخَلعوه في سنة ثلاث وستين، فأرسل إليهم مُسلم بن عُقْبة المُرِّيِّ وأَمره أَن يَستبيحَ المدينة ثلاثة أَيام، وأن يبايعهم على أَنَّهم (خَوَل وعَبيد) ليزيد، فإذا فَرَغَ منها نَهضَ إلى مكة لحرب ابن الزُّبير فَفَعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقَتَل بها خَلْقاً من الصَّحابة وأَبنائهم وخيار التَّابعين، وأفحش القضية إلى الغاية، ثم توجَّه إلى مكّة فأخذه الله تعالى قبل وصوله، واستخلف على الجَيْش حُصين بن نُمَيْر السَّكوني فحاصروا ابن الزُّبير ونَصبوا على الكعبة المِنْجَنيق فأدى ذلك إلى وهي أركانها وَوَهي بنائها ثم أُحْرقت، وفي أَثناء أَفعالهم القبيحة فجئهم الخبر بهلاك يزيد بن معاوية، فرجعوا وكفى الله المؤمنين القتال، وكان هَلاكه في نِصْف ربيع الأول سنة أَربع وستين ولم يكمل الأربعين..».

المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله][١] ..

ومن كان بلا حريّة، لا يستطيع إنجاز عدالته؛ لذلك فإنَّ الوقوف بوجه الظالمين هو بوابة إنجاز الحريّة، والحسين بن علي ضحَّى بكلِّ ما يملك في سبيل رفع الظلم عن الأمة، ونسمع صدى كلمات الشهيد تتردَّد في هجير كربلاء: [يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون][٢]. ومن تابع تاريخ ثورات الحريّة ومقاومة الظلم من بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) يجد أنَّها استلهمت من قِيم عاشوراء، واستندت إلى عنفوان كربلاء، وتمسّكت بمعادلة أنَّ الدَّم ينتصر على السيف.

وقد أعلن الحسين (عليه السلام)، ومنذ انطلاقته إلى كربلاء، أنَّه لا يستهدف إلَّا الإصلاح في أمَّة جدّه: [لم أخرج أشراً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمَّة جدّي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ

---

(١) ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٦٠، ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج٣، ص١٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطّبري، ج٤، ص٣٤٤؛ ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٧٦، ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تجارب الأمم، ج٢، ص٧٩، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٠٣؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٠، ص٤٥٨، البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٠٢؛ الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ص٤٠٢، الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص٢٦٢؛ ابن الصبّاغ، علي بن محمد، الفصول المهمَّة، ج٢، ص٨٢٧.

عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين][1]، والمقـاوم المؤمن بربّه وقضيته لا يخضع للمعادلات الظالمة، وإنَّما يسعى بكلّ إمكاناته لتغيير هذه المعادلات، والفئة المقاومة التي تحمل لواء الحقّ، وتضع أرواحها عـلى أكفهـا هي القادرة على تحرير الأوطان وإعمارها، وتحقيق الحريّة لشعبها.

إنَّ كربلاء الحسين هي التي جذبتني إلى هذا الحياض، حياض الأحـرار والشّرفاء بمختلف دياناتهم ومذاهبهم وطوائفهم، وأعراقهم وجنسيّاتهم وثقافاتهم، وهم المجذوبين بكربلاء... فامتلؤوا منها قـوّةً، وعـزّةً، ومنعـةً، وسموّاً... وهيهات منّا الذّلّة!كربلاء التي أفنت الظالمين والمجرمين، والمستكبرين... وخلّدت المظلومين والمستضعفين، والأقوياء بالحقّ..

من هنا جاء هذا الجهد المتواضع؛ لنتعلم من الحسين كيف تنتصر كربلاؤنا الفلسطينية كما انتصرت كربلاؤه الخالدة بالدَّم على السيف وصدق من قال:

"إنّ العقيدةَ في قُلوبِ رجالِها *** مِن ذَرَّةٍ أقوَى وألفِ مُهَنَّدِ".

أرجو أن يتقبّل الله هذا العمل على حبٍّ محبوبه الحسين الذَّبيح، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

لمراسلة المؤلف:

Abusninh٨٨٨@gmail.com

---

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح، ج٥، ص٣٣، الخوارزمي، موفق بن أحمد، مقتل الحسين، ج١، ص١٨٩.

مدخل

(مرج الزهور) مخيمٌ على طريق الحسين

أوّل قيامٍ تضحويٍّ في فلسطين تابعته كأنّي أعيشه هو (انتفاضة الحجارة عام ٨٧م) عندما كنت طفلاً مميّزاً، حيث شاهدت أطفال الحجارة المشاركين بالثورة الشعبيّة التي كان سلاح شبابها الحجر مقابل أصناف الأسلحة الحديثة، وقد أسفر القمع العنيف للمنتفضين عن سقوط آلاف الشهداء والجرحى، والزجّ بعشرات آلاف الفلسطينيين بينهم أطفال ونساء وشيوخ علاوةً على الشبّان في الباستيلات والسجون الصهيونيّة.

لكن.. ما استوقفني وأيقظني ولم أكن قد تجاوزت الـ ١٥ عاماً، ذلك المخيّم الحسينيّ الفلسطيني، الذي خالطت يوميّاته لحمي ودمي، مشهد مخيم مبعدي المقاومة الفلسطينية إلى (مرج الزهور)، وهو واحدٌ من محطّات النضال المميّزة التي انتصرت فيه إرادة المقاومين الفلسطينيين على صلف الاحتلال، يوم تمكّن (٤١٥) منهم أُبعدوا دفعةً واحدةً في (١٦/ ١٢/ ١٩٩٢م) من الصمود سنةً كاملةً في ظروفٍ قاسيةٍ للغاية في مخيم أقاموه بالقرب من قرية مرج الزهور على الحدود اللّبنانيّة الفلسطينية، وأَرغموا الاحتلال على إعادتهم إلى فلسطين.

ومن بينهم يومذاك الناطق باسمهم الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، ذاك الشهيد العزيز (رحمه الله) الذي أَسّر بتواضعه وشجاعته وقوّة شكيمته قلوب

أهل المقاومة. كانت الصحف مصدر معلوماتي عنهم، وأحياناً التلفزيون الذي لم يكن متوفراً في بيتنا ذاك الوقت، وكنت أقطع مسافةً طويلةً إلى بيت بعض الأقارب في العاصمة الأردنية عمّان؛ لأشاهد أخبار أبطال فلسطين المبعدين وسط الجبال الباردة الجليديّة.

لقد تماهيت مع حياتهم، وكنت أعيشها كأنّي بينهم، فقد فجّروا كوامني وقريحتي في التعبير، وبدأت الكتابة بالفعل للصحف والمجلات، حيث نشرت أوّل مقالاتي حول المبعدين، وعذاباتهم في مجلّة (الكرامة) التي كانت تصدر عن جيش التحرير الفلسطينيّ في الأردن، ثمّ كتبت أوّل نصّ مسرحيٍّ يحاكي آلامهم وجهادهم، وشكل حياتهم بالمخيم، وقدّمته للأستاذ عاهد شاكر مسؤول إذاعة مدرستنا والمتخصّص في الأدب العربيّ، وطلب مني أن أنفّذ النصَّ كمسرحيةٍ تعرض في النشاط السنويّ الكبير للمدرسة في آخر العام، ومثّلت فيها دور الشهيد (عبد العزيز الرنتيسي) رحمه الله[1] .

قريباً من جبل الشيخ جلس المبعدُون الحسينيون الفلسطينيون يؤرخون لمرحلةٍ لم تكن في حسبانهم، بعد أن ألقت بهم أيادي المحتل خارج حدود وطنهم، كما خرج الحسين من مدينة جدّه مُكرهاً مجبراً، المبعدون عادوا إلى فلسطين، وقدّموا بتجربتهم خلاصاتٍ ذهبيةٍ عن صناعة القوّة من الضعف، وتحقيق الأهداف من التلاحم والوحدة[2] والتنظيم الفعّال، والانتصار على سلاح

---

(١) أدّيت المسرحيّة في ساحة مدرسة اسكان الهاشميّة في الزرقاء الأردنيّة، أعتقد أنَّ المسرحيّة مصوّرة وموجودة على شريط فيديو ضمن أرشيف المدرسة.

(٢) تجلّى ذلك بالعلاقة الأخويّة التي جمعت مقاومي حماس والجهاد، والذين آووا ونُصروا من شباب الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني.

العدو بالدم، والصبر كما انتصر حفيد محمّد (صلّى الله عليه وآله) في كربلاء.

لقد خاض المبعدُون في مرج الزهور مواقفَ عديدةٍ على النهج الحسينيّ الاستشهاديّ، ومن تابع آنذاك نشاطهم خلال عام من الصمود كان يتنفّس من مواقفهم عزّةً وبأساً، ولا زلت أذكر مسيراتهم للمعبر باتّجاه فلسطين، والمطالبة بالعودة، إلى أن جاءت مسيرة الأكفان فلبسوا القلوب على الدروع، والأكفان البيضاء، وذهبوا للمعبر، فكان القرار هو العودة للوطن، أو الشهادة على حدوده، حيث أطلق جنود العدو الرصاص والقذائف على الصخور في الجبال وأصيب سبعةٌ بشظايا القذائف ممّا استدعى أخذ القرار بالعودة للمخيم والبقاء على حدود الوطن، والصمود والثبات والنصر.

إنّ اتخاذ المبعدين لقرار البقاء على أرض المرج بين الجبال، والوديان والثلوج يشكِّل تلك الصورة الأقرب إلى تلك المواقف المفصلية في كربلاء، فعندما كانوا يسيرون جميعاً نحو العمق اللّبناني نادى الشيخ عبد الفتاح دخان[1] عليهم أن يقفوا، وأصغى الجميع لكلامه عندما قال وهو أكبرهم سنّاً: يا شباب، إلى أين سنستمر في السير؟ أنا أقول: إذا دخلنا الحدود الآن لن نخرج من لبنان، وسنفقد أملنا في العودة، فأنتم وما ترون، أمّا أنا فقد قررت أن أموت خلف هذه الصخور، أو أعود إلى وطني، فمن أحب أن يقيم معي حتّى نعود معاً، أو نموت معاً فحيّاه الله، ولن أدخل معكم إذا قرّرتم الدخول إلى لبنان. فقال الجميع: بل نقيم معك حيث تشاء إلى أن يقضي الله فينا أمره.

---

(١) عبد الفتّاح حسن دخان، مواليد قرية عراق سويدان المهجرة، قضاء غزّة عام ١٩٣٦، أحد مؤسّسي حركة حماس ورفيق الشيخ أحمد ياسين، أحد المبعدين الفلسطينيين إلى مرج الزهور.

وهو ما يعيدنا إلى ذلك الموقف لحفيد المصطفى (صلّى الله عليه وآله) عندما خيّر جنده بين البقاء، أو الرجوع وهم في حلٍّ من بيعته، وكان موقفهم بالطبع الثبات قائلين: (لا والله لا نفعل)، ولكن نفديك بأنفسنا، وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتّى نرِدَ موردك، فقبّح الله العيش بعدك يا ابن رسول الله[1].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج٨، ص١٩١، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٤، ص٣١٨.

تمهيد

سرُّ زيارة عراق الحسين

الله تعالى وحده يعلم كُنه الحكمة من زيارتي للعراق قبل أيامٍ لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة من بدء الغزو (الأنجلو أمريكي) عام ٢٠٠٣م ، في جولةٍ سياحيّةٍ قصيرةٍ لعدَّة أيامٍ، حيث المعالم والآثار التاريخيّة الخالدة، وعلى رأسها مقام الإمام الحسين بن علي (عليه السلام).

وصلت مدينة كربلاء فجر العاشر من المحرم ١٤٢٣هـ لأوَّل مرة، ووقعت عيناي ذاك الصباح على قبة الحرم الحسيني في لحظات هي من خارج العمر، حيث تحلّق الروح، وتعيش تطهيراً للنفس وأنت تستحضر حفيد النبيّ (عليه السلام) الشهيد، وعذابات أطفاله وعياله..

في تلك الزيارة، كتبت كثيراً من الذكريات خارج هذه المقالة، حيث الأيّام الأخيرة لنظام صدام، ووجدت نفسي في تجربة كربلائيَّة مصغَّرةٍ، فما أن أنهيت زيارة سِبط الرسول الشهيد، وأردت قصد الفندق القريب حتّى بدأت أسمع صوت جموعٍ تتقدَّم في حالةٍ شعائريّةٍ جماعيّةٍ يهتفون بشعار: "أبد والله ما ننسى حسيناه": مع أنَّ التعبير عن مظاهر الحزن على مصيبة الحسين (عليه السلام) في العهد الصداميّ يمكن بدون مبالغة أن يؤدِّي بفاعله إلى الإعدام.

من أعلى البنايات، وشرفات الفنادق المحيطة بالحرم الحسيني تجمهر الناظرون، أدركت بأنَّ الحدث ليس اعتياديّاً، فبمجرد اقتراب هذا التجمع،

أخذ الكثيرون بالفرار، حيث يتقابل النادبون مع رجال الأمن، بينما ساقني الفضول للعودة مباشرة نحو الحرم؛ لأراقب ما يحصل، اقتربت ودخلت ساحة الحرمين (ما بين ضريح الحسين وأخيه العباس) حيثُ تجمَّع النادبون، كان جنود الأمن ببزاتهم الزيتونيّة، وأسلحتهم قد شكّلوا ما يشبه الصف المستقيم مقابل المسيرة والنادبين المشاركين فيها، وكنت في تأمُّلٍ لهذه اللوحة، وهذا المشهد الضارب في أعماق التاريخ، والحاكي عن قصَّة الظلم والاضطهاد، وسلطة القوي المستبدّ في مقابل المستضعف المغلوب على أمره، ثمَّ تطورت الأحداث وسقط ضحايا، وقد كنت وسط هذه (الهوسة) بتعبير العراقيين، ولكن الله أنجاني وخرجت سالماً، ولا داعي هنا لمزيد من السرد حول تلك الزيارة.

استحضار الفاجعة وعيش الإحساس بالحسين (عليه السلام)

يجب أن نعترف أنَّ إخواننا المسلمين الشيعة يعيشون الحسين، عملاق الفكر الثوريّ بشكل ألصق من بقية المسلمين، والملايين منهم تزور مقامه بشغف، ومن وحي تجربتي واستقصائي، فإنَّهم بفعالياتهم وطقوسهم التي ستجد جذورها بلا شكّ في طيّات التراث الإسلاميّ يذوقون حلاوة ذلك رغم غطاء الآلام عليه، ويقتربون وجدانياً من الأنوار النبويَّة هاربين من الظلم اليزيديّة -كما يعبر مفكروهم- وإن كانت بصورها المعاصرة، وعندما تكون الزيارة مع التوجه والحضور تتحوَّل من صورةٍ فكريةٍ، أو أمنيةٍ سياحيةٍ إلى صورةٍ حسيَّةٍ، تشعرك بالحسين (عليه السلام)، شعوراً أشبه ما يكون بإحساسٍ تتماهى معه.

تمشي إلى كربلاء، وأنت تستحضر مشي الحسين (عليه السلام) إلى مصرعه، تستحضر مشهد تلَّطّخ بدن الحسين (عليه السلام) بدمه وأشلاء جسده، وتراب كربلاء. تحيا كربلاء حياةً مع الإحساس والشعور، ثمَّ تتوقَّف عند رأسه الشريف، وقد عشت الحسين (عليه السلام) بكلّ ذرَّات وجودك، وتقرأ مع ملايين الزائرين: أشهد أنّك قُتلت مظلوماً، أشهد أنَّ دمك قد سكن في الخلد، أشهد لقد اقشعرَّت لدمائكم أظلَّة العرش، مع أظلَّة الخلائق، وبكتكم السماء والأرض، وسكان الجنان، والبرّ، والبحر..

في طريق الشهادة الواعية كاملة الأهداف

مذ ذكرياتي تلك في كربلاء، وأنا أسعى لفهم الحسين (عليه السلام) كقوَّةٍ ملهمةٍ لكلِّ مُستضعفٍ في وجه الظالمين، وخاصَّة لأبناء شعبي الفلسطيني المظلوم من القريب قِبل الصهيوني البعيد، فالحسين (عليه السلام) هو الرفض لكلِّ الظالمين على اختلاف أشكالهم، وشاهدنا كيف بالحماسة الحسينية تحرَّر لبنان من الصهاينة، وهزمت مشاريع أمريكا وأدواتها بشكلٍ كبيرٍ في العراق، حيث استطاع العراقيّون فرملة مخطط داعش والفوضى الكاملة في منطقتنا اعتماداً على الشباب الحسيني المضحي من أبناء العراق.

لقد استمرَّ شغفي بما كتب عن الحسين (عليه السلام) وكربلاء، واستلهمت من عدّة مفكرين، منهم:

١. الشهيد محمّد باقر الصدر[1].

---

(١) الفيلسوف الشهيد السيد محمّد باقر الصدر، من الأوائل الذين أسروني لعمق فكرهم، يوم كان شقيقي الأوسط نقيب أسرة في جماعة الإخوان المسلمين الأردنيّة

٢. الشيخ عبد الحميد كشك[(١)].

أوائل التسعينيّات من القرن المنصرم، حينذاك لاحظت اهتمامه بدراسة كتابي (فلسفتنا واقتصادنا) للمرحوم الصدر، وتبيَّن لي أنَّهما من الكتب التي يدرسها شباب النخبة في الجماعة، ولاحقاً وفّقت لمطالعة الكتابين خاصّة (فلسفتنا) الذي لن تكون أنت الشخص نفسه بعد قراءته منطقاً وإدراكاً، يبرهن على العقائد الإلهيّة من دون الاستعانة بالنصوص الدينية. ولمّا سألت شقيقي مستغرباً عن الاهتمام بهذين الكتابين! أجابني بأنَّ (الحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقّ الناس بها).

وذات يومٍ تابعت شخصيّاً محاضرة للداعية طارق السويدان، ونصحنا فيها بأن لا نتعصّب، ونقرأ لمن لا نتّفق معهم، وقال بالحرف الواحد: أنَّه قرأ كتب محمّد باقر الصدر، وبالأخصّ كتابي (فلسفتنا واقتصادنا)، ولم يرَ نظيراً لهما في بابهما بين كتابات الإسلاميين.

ولد (رحمه الله) عام ١٩٣٥م في بغداد، تميّزت شخصيّته بتلك العاطفة الحارّة، والأحاسيس الصادقة، والشعور الأبوي تجاه كلّ أبناء الأمّة، ويعرف ذلك كلّ من استمع لمحاضراته، أو طالع رسائله ومصنفاته، بدأ التأليف في عمر ٨ سنوات حول السيرة النبوية، تمَّ اعتقاله للمرّة الثالثة في التاسع عشر من جمادى الأوّل (١٤٠٠هـ)، وبعد ثلاثة أيّام من الاعتقال الأخير استشهد (رحمه الله) بنحوٍ فجيع عام (١٩٨٠م) ولم يبلغ الخمسين من العمر، مع أخته المفكرة والروائية بنت الهدى.

(١) عبد الحميد كشك (١٩٣٣م – ١٩٩٦م) عالم وداعية إسلاميّ مصري كفيف، ويُلَقَّب بفارس المنابر، يعدّ من أشهر خطباء القرن العشرين في العالم الإسلامي، وله أكثر من ٢٠٠٠ خطبة مسجّلة على مدى أربعين عاماً، بعد تخرّجه من كلّية أصول الدين الأزهرية، حصل على إجازةٍ التدريس بامتياز، ثمَّ عمل إماماً، وخطيباً بمسجد الطحان بمنطقة الشرابية بالقاهرة، ثمَّ انتقل إلى مسجد منوفي بالشرابية أيضاً، وفي عام (١٩٦٢م) تولّى الإمامة والخطابة بمسجد (عين الحياة) بشارع مصر والسودان

٣. الشهيد مرتضى مطهري[1].

بمنطقة حدائق القبّة بالقاهرة، واستمرّ يخطب فيه حوالي عشرين عاماً، في عام (١٩٧٢) بدأ يكثّف خطبه، وكان يحضر الصلاة معه حشودٌ هائلةٌ من المصلين، ومنذ عام (١٩٧٦م)، بدأ الاصطدام بالسلطة، وخاصَّةً بعد معاهدة كامب ديفيد الخيانية، حيث اتّهم الحكومة بالخيانة للإسلام، وأخذ يستعرض صور الفساد في مصر، وقد اعتُقِل في عام (١٩٨١م)، مع عددٍ من المعارضين السياسيين ضمن قرارات سبتمبر الشهيرة للمقبور الرئيس المصري الأسبق محمّد أنور السادات الذي هاجمه في بعض خطاباته عام (١٩٨١م)، ثمّ أفرج عنه عام ١٩٨٢م، ولم يعد إلى مسجده الذي مُنِع منه كما مُنِع من الخطابة وإلقاء الدروس، ولقي كشك خلال هذه الاعتقالات عذاباً ترك آثاره على كل جسده رغم إعاقته رحمه الله.

(١) ولد الأستاذ مرتضى مطهري في مدينة فريمان محافظة خراسان شمال شرق ايران عام ١٩٢٠م، وفي عمر ١٢ عاماً بدأ دراسة المنطق والفلسفة والحقوق في الإسلام والأدب العربي في حاضرة مشهد الإمام الرضا، بعد ذلك ذهب إلى مدينة قم بهدف إكمال دراسته، فدرس الفلسفة والفقه والأصول على يد الإمام الخميني (رحمه الله)، وحضر دروس الفلسفة، والحكمة الإلهية عند العلامة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي، والشيخ مهدي المازندراني، ودرس الأخلاق على يد الشيخ علي الشيرازي الأصفهاني.

كان الشهيد مطهّري عالماً وفيلسوفاً إسلامياً، وأحد الأعضاء المؤسّسين في شورى الثورة الإسلامية في إيران إبان الأيّام الأخيرة من سقوط نظام الشاه، وصاحب المؤلفات الكثيرة؛ العقائدية والفلسفية الإسلامية، وأحد أبرز تلامذة المفسّر والفيلسوف الإسلامي الكبير السيّد محمّد حسين الطباطبائي (طاب ثراه)، توسّع النشاط السياسي للشيخ مطهري في الحركة الثورية الإسلامية التي قادها السيد الخميني، وقد كان من أوائل المؤيّدين لهذه الثورة، فألقى أزلام الشاه القبض عليه

٤. السيد علي الخامنئي مرشد الجمهورية الإسلامية.

٥. الأستاذ خالد محمد خالد[1]، وكلمات حركيين كبار من أبناء كافّة المذاهب الإسلامية.

إنَّ الحسين (عليه السلام) خرج يطلب غايته النهائيَّة في الاستشهاد، ولكن لماذا؟ لإحداث هزَّةٍ عنيفةٍ في ضمائر الناس والمسلمين خاصَّةً، المبتلين بمرض ضعف الإرادة في ذلك الزمان الغابر، بل وكانوا يعيشون أخلاقية الهزيمة، فلم تكن الجماهير قادرةً - رغم إيمانها النظري الصحيح- أنْ تترجم أحاسيسها إلى عملٍ موافقٍ، واستمرار هذا المرض، وتفشيه في الأمَّة سيؤدِّي إلى موتها وانهيار كيانها، فالعلاج إذاً لن يكون إلَّا بإحداث هزَّةٍ رهيبةٍ لضمير الأمّة ووجدانها، وهذه الرجفة العظيمة لا تحدث إلَّا بتضحيةٍ عظيمةٍ من مضحٍّ أعظم، وهكذا سيكون ابن بنت الرسول، وريحانته من الدنيا هو

بسب تحركاته السياسية الواسعة، واحتجزوه لمدة ٤٣ يوماً، ثمّ أطلق سراحه؛ بسبب الضغط الجماهيري، استشهد في طهران على يد جماعةٍ إرهابيةٍ أطلقت على نفسها اسم "فرقان" في ١٢ أيار من عام ١٩٨٠م، وقد بكاه الإمام الخميني عند استشهاده بما لم يبكِ به ابنه، وكان يقول في مأتمه: "خذني معك فأنا مستعدٌّ للشهادة لقد فقدت ابني العزيز الذي هو قطعةٌ من جسدي"، ووصفه بأنَّه لا نظير له في طهارة الروح، وقوّة الإيمان، والقدرة على البيان، وأعلن الحداد العام لشهادته، وجلس في المدرسة الفيضيّة يتلقّى العزاء، وطلب من الشباب الإسلامي والثوري مطالعة نتاجه العلمي بالكامل دون استثناء.

(١) مفكّر وأديب مصري (١٩٢٠-١٩٩٦م) وهو نفسه مؤلّف كتاب (رجال حول الرسول)، كما ألَّف عدة كتب تتحدّث عن السيرة النبوية وأعلام الصحابة، وهو خريج أزهري.

الضحيَّة التي سوف تهزُّ الضمائر، فكانت شهادته منعطفاً بارزاً وقويّاً في وعي الأمَّة، حرَّك الحياة في الضمائر شبه الميتة، وحدثت الانتفاضات والثورات من بعده إلى أن تقوَّض حكم بني أميَّة، وظلَّ دم الحسين (عليه السلام) منذ استشهاده وإلى اليوم مُحرِّكاً للثورة، وملهماً للإنسانية في كلِّ حين.

زعيم الإصلاح في الإسلام

لقد تعلَّمت من الحسين (عليه السلام) أنْ أقف مع الحقّ الذي من أجله دخل حفيد النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) ذلك الاختبار الإلهي، وتألَّق فيه، وقدَّم في هذا السبيل كلَّ وجوده إلى آخر مراحل الاختبار، لحظة صار (الذبح العظيم)، فحافظ على قيم الخير، وموازين الحسن والقبح، وكما يقول المفكِّر المسيحي انطون بارا في كتابه (الحسين في الفكر المسيحي): (.. وكم هو حريٌّ بنا نحن البشر الضعفاء لأن نقف بقلوبٍ حزينةٍ وعيونٍ دامعةٍ أمام أحداث هذا الذبح الذي لم تسجّل الأديان، والتواريخ ما يعدله سموّ معنى، وسموّ ذات، وعلوّ شأن، فهو ذبحٌ فدى البشريّة جمعاء، وصان دين الله الواحد من الانتهاك، وهو ذبيح أرسى للبشريَّة مجدها الذي ترتع في نعمته الآن وإلى أبد الدهور، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره..) ا. هـ[1].

ولم يستطع يزيد بن معاوية أن يشوِّه الإسلام حتّى النهاية كما كان يشتهي أشياخه ببدر، الذين جندلهم ذو الفقار سيف علي بن أبي طالب (عليه

---

(١) بارا، انطون، الحسين في الفكر المسيحي، ص ٢٣٨، حيث قام المؤلف بمقارنة حياة عيسى ومماته من وجهة النظر المسيحية، وحياة الحسين ومماته من وجهة النظر الإسلامية، باستخدام النظريّات الإسلاميّة والمسيحيّة.

السلام)، وخلد الحسين (عليه السلام) في تاريخ الإسلام زعيم الإصلاح، وكلُّ خير فينا حسيني البقاء بامتياز، بل له قدم السبق في تشذيب الفكر الإنساني ورفع سقف التضحية؛ من أجل المبادئ الحقّة إلى آخر سماء، إنَّه بحقّ مصباح الهدى كآبائه الطاهرين، وسفينة النجاة.

تلك التجربة في كربلاء قبل أكثر من عقدٍ ونصف، إضافةً إلى تجربتي الاستكشافية الروحية في الجمهورية الإسلامية، ومن محطاتها مشاركتي في جنازة الشهيد سليماني[1] المليونية، إذ كانت ملتقى حسينياً لعامَّة الشعب

---

(١) الجنرال الشهيد قاسم سليماني مواليد ١٩٥٧م، قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، في العشرينات من عمره، أسَّس لواء "٤١ ثأر الله" عام ١٩٨٠م خلال الحرب الكونية ضدّ الثورة التي بدأها صدام، ثمَّ تولى في تسعينات القرن الماضي قيادة الحرس الثوري في محافظة كرمان، قبل أن يعيّن قائداً لفيلق القدس في ١٩٩٨م، دأب على العمل العسكري الميداني متنقلاً من جبهة إلى أخرى طوال ٤٠ عاماً، شارك السيد حسن نصر الله والشهيد عماد مغنية إدارة حرب تموز من قلب الضاحية الجنوبية، وساهم بإدارة حروب غزّة مع قادة المقاومة الفلسطينية من خلال غرفة عمليات في دمشق، ومع تزايد قوته العسكرية من ناحية، وشعبيته الكبيرة لدى الشعب الإيراني والشعوب المقاومة للنفوذ الأميركي، خاصَّةً بعد دوره الرئيسي في القضاء على تنظيم داعش في العراق وسوريا، وإسقاط الخطط الأميركية التي كانت معدّة للبلدين، وضعته الولايات المتحدة على قائمة الإرهاب في نيسان/ ٢٠١٩، واعتبره الكيان الصهيوني الشخصية الأخطر ووضعه على رأس قائمة الاغتيالات، بالإضافة إلى الشهيد بهاء أبو العطا، والسيّد حسن نصر الله، وفعلاً تمَّ إحباط مخطط عربي – عبري لاغتيال سليماني في تشرين الأول ٢٠٢٠م.

لم تحد بوصلته عن القدس يوماً، ولطالما أعلن في تحدٍّ لواشنطن وحلفائها: أنَّ نزع

الإيراني -بل لعشاق الشهادة الحسينية في كلِّ مكان- الذين ردَّدوا شعار الحاج قاسم: بأنَّنا أمّة الشهادة، أمَّة الإمام الحسين (عليه السلام).. ومن كلِّ ذلك أحاول تجاوز العقد المذهبيّة والطائفيّة، فأسعى أن أعيش الحسين منهجاً ومساراً"[1].

لماذا إحياء حادثة مرَّ عليها مئات السنين؟

الحوادث الماضية في كلِّ مجتمعٍ لها آثارٌ في مصير ذلك المجتمع ومستقبله، وإحياء تلك الحوادث هو صياغةٌ جديدةٌ لتلك الحادثة، حتّى يتيسّر للناس أن ينتفعوا منها، فإذا كانت الحادثة منشأ لآثارٍ طيِّبةٍ فإنّ إعادة النظر إليها تكون منشأ للمنافع المتعدّدة.

وقد اعتادت المجتمعات البشرية على إحياء حوادث الماضي بشكلٍ من الأشكال، وتضفي على بعضها ألواناً من الاحترام والتقدير، سواء تعلَّقت بأشخاصٍ كان لهم دورٌ مؤثّرٌ في رقي مجتمعاتهم كالمكتشفين، أم تعلّقت بأشخاص تميّزوا بدور مهمٍّ في تحرير أممهم وأصبحوا أبطالاً يُقتدى بكفاحهم.

إنّ جميع العقلاء في العالم يحيون ذكريات مثل هذه الشخصيّات البارزة؛ تماشياً مع رغبةٍ فطريةٍ أودعها الله سبحانه في أعماق الناس، وهي الاعتراف

سلاح المقاومة وهمٌ لن يتحقّق، وأعرب في أكثر من مناسبةٍ عن أمنيته أن يتوفّاه الله شهيداً مقاوماً، وكان له ما تمنّى حين اغتالته أمريكا فجر يوم ٠٣/ ٠١/ ٢٠٢٠، وللمؤلّف مقالةٌ وافيةٌ حول الشهيد، وفكره الجهادي بعنوان: (قاسم سليماني بقلم صحفي فلسطيني نشرت في ٢٠١٩م) تنبأ فيها باستشهاد الحاج (رحمه الله)، فلتراجع.

(١) من مقالةٍ للمؤلف منشورة في جريدة الأخبار اللبنانيّة تحت عنوان: (ملهمٌ لمستضعفي الأرض).

بالجميل، رغبةً تدفعهم للاعتراف بحقّ من أسدى إليهم خدمةً، وعليهم أن يحترموا ذكراها، ويجدِّدوا الفعل العظيم للشخصيّة صاحبة الفضل الكبير.

وواقعة عاشوراء كانت حادثةً استثنائيةً في تاريخ الإسلام، ودورها مصيريٌّ في حفظ الإسلام، وتبيين سبيل الهداية للناس، لهذا يغدو إحياؤها وتذكّرها وإعادة صياغتها مما لا يفرّط به، لما لذلك من آثارٍ على مجتمعنا المعاصر، وخاصَّةً في مجتمع أهل النضال، والكفاح والمقاومة[1].

خصوصية نهضة حفيد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وفرادتها

تتجلّى هذه الفرادة في أن نهضته (سلام الله عليه) نهضةً ليست وليدة انفجار نفسيٍّ أو عاطفيٍّ، فهي ليست من قبيل ماء يغلي في قدر مقفل إذا لم يجد البخار المتصاعد منه منفذاً للخروج، فسيؤدّي إلى الانفجار بتأثير ازدياد درجة الحرارة.. بل كانت وليدة وعيٍّ وإدراكٍ كاملين بالواقع الذي جاءت لتغييره، فلم تتفجر نتيجة نفاذ صبر الحسين (عليه السلام) بسبب الضغوط الكثيرة التي كانت تمارس من قبل الأمويين، بحيث تؤدّي به إلى أن يثور ويقول: فليكن ما يكن! كلا لم تكن كذلك، الحسين (عليه السلام) ثار وهو مدرك سبب قيامه، ولم تتدَّخل في نهضته عوامل الانفجار النفسيّ مطلقاً، بل كانت ثورةً إسلاميةً محضةً، ولاحظوا .. لقد تحاشى الاستفادة من أيِّ عاملٍ من

---

(١) أتذكّر أنّي كنت مسؤول اللجنة الاجتماعية الدينية في الصفوف الأساسية من تحصيلي المدرسي، وكنّا نهتم جدّاً بإحياء ذكرى شهداء الإسلام الأبطال، وقد كان لقبي بين أقراني آنذاك (أبو دجانة) تيمّناً بالصحابي الجليل - الذي كنت أمثّل دوره مسرحياً- أبو دجانة الأنصاري، وموقفه العظيم يوم أخذ السيف من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في معركة أحد، وارتدى العصابة وقاتل مرتجزاً قتال الأبطال رضي الله عنه.

العوامل التي تؤدّي إلى حدوث الانفجار النفسي والعاطفي، بل كان يكرّر على أسماع أصحابه أن لا منافع ماديّة في مسيرتهم تلك، وأنَّه لا ينتظرهم غير الموت المحتّم، وفي ليلة العاشر نراه (عليه السلام) يمتدح أصحابه، فيقول بأنَّهم خير الأصحاب، ويكرِّر عليهم بأنَّه هو المطلوب من الحكم الأموي، ما يعني أنَّه أراد أن يقوم أصحابه مخيّرين بأداء ذلك التكليف عن طوع إرادتهم غير مرغمين عليه، واختيار شهداء كربلاء الأوائل البقاء مع الحسين (عليه السلام) بالرغم من تكراره عليهم لعدّة مرّات مسألة الحلِّ من البيعة، هو الذي منح هؤلاء الشهداء المنزلة الرفيعة، وهذا المجد الخالد(١).

وفي عصرنا الحاضر قام السيّد الخميني مؤسِّس إيران الإسلامية بنفس الفعل في باريس، عندما جمع أصحابه وأخبرهم بأنَّه يريد العودة إلى إيران، وأنَّ هناك احتمالٌ أن تستهدف طائرته، وأنَّه سيستقل الطائرة وحيداً مع نجله فقط، لكنَّهم يرفضون العرض، ويصرّون على فداء الثورة الإسلامية حتّى بأرواحهم، وركوب الأخطار..وشبيه من ذلك شهداء مخيم جنين عندما استمعوا إلى مكالمة الشهيد الطوالبة مع القائد المرحوم المجاهد رمضان عبد الله(٢) الذي حاول الضغط عليه للانسحاب، وأنَّ الحرب كرٌّ وفرٌّ، لكنَّه أجاب

---

(١)راجع حقيقة النهضة الحسينية للشهيد مطهري من مواضع متعدّدةٍ بتصرّفٍ، وهو كتيّبٌ صغيرٌ مختصر، مطهري (رحمه الله) عرّفنا معنى الشهيد وقدسيّته، وهو الشخصيّة التي جعلتني أطير إلى عالم الفكر في القضية الحسينية، مضافاً إلى العاطفة بعد أن اطَّلعت منذ أيام الصبا على محاضراته المجموعة في كتيّبين (حقيقة النهضة الحسينية)، وكتاب (شهيد يتحدث عن الشهادة) تعريب محمد علي آذر شب..

(٢) يروي الأمين العام السابق لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين المرحوم الدكتور

بأنَّ اللِّقاء في الجنة وخيّر من معه بالثبات أو الانسحاب، لكنَّهم ثبتوا حتّى الشهادة الواعية الكاملة.

ما بين مظلومية الحسين ومظلومية فلسطين

وجه الشبه كبير بين مظلوميّة أبناء الرسول في كربلاء، ومظلوميّة الشعب الفلسطيني وقضيّته، فقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) يمتلك التأييد الظاهري لشخصه وقضيته، ما يشبه التأييد لفلسطين، فالأغلبية الساحقة من الناس كانت تعرف أنَّ الحسين صاحب قضية عادلة ومعركته محقَّة، كما هو الموقف مع القضية الفلسطينية عندما كان الجميع يؤيّد فلسطين، ويدرك مظلوميّة أهلها، ومقدار الظلم التاريخي الذي وقع عليهم .

لكن، عندما تحرَّك عميد آل محمد في زمانه، وتوجَّه إلى العراق الذي كان تصل منه رسائل ومكاتيب الأنصار أن أقدم علينا، إنَّما تقدَّم على جند لك مجنّدة، عندما وصل قريباً من كربلاء كان الوضع قد تغيَّر، وراحت الرجال

رمضان عبد الله شلّح لصحيفة الحياة اللندنيّة، قصّة ساعاتٍ سبقت سقوط مخيّم جنين، وكيف كان على اتّصالٍ دائمٍ مع قيادات وعناصر الجهاد في المخيم، موضّحاً أنَّه كان بالتوازي على اتّصال بقيادة حزب الله في لبنان بشأن المبادرة التي أطلقها أمينه العام السيد حسن نصر الله؛ لإنقاذ المقاتلين حينها، وممّا جاء في المقابلة إفصاحه عن فحوى آخر اتّصال مع مهندس المتفجرات القيادي الجهادي الشهيد محمود طوالبة قبل يومين من الاجتياح، وأنَّ المرحوم شلح قال له: يا محمود هذه معركةٌ طويلةٌ، والحرب كرّ وفرّ ابنوا حساباتكم على أنَّها ليست آخر جولةٍ بيننا وبينهم، فأجاب رحمه الله بالحرف: هذه معركة كرّ وليس فيها فرّ، وأنا اتّصلت مودعاً؛ لأقول لكم إن شاء الله نلتقي بكم في الجنّة! وستأتي ترجمة الشهيد السعيد القائد محمود الطوالبة.

تنفضُّ من حوله وتتركه وحيداً، حتّى قتل هو والقلَّة التي معه في صحراء كربلاء.

وفي هذا الزمان، صرنا نرى هذا السقوط الرسمي العربي، والتباهي بالتطبيع مع الصهاينة المغتصبين، والشعوب مختارةً، أو مكرهةً تنفضُّ عن فلسطين، وواجب نصرتها في ظلّ حكومات قبائل المستعربين المتهوّدة، إلَّا الثُّلة الوفية الصابرة من قادة، وأبناء محور المقاومة، وإن كان خذلان الحسين (عليه السلام) لم ينقص من قدره، ولم يجعله يتراجع عن معركته، ولم يهز ثقته بعدالة ومشروعية ما خرج من أجله، أي: الإصلاح في أمَّة جده، فكذلك لن يغير هؤلاء الذين جاهروا بالتحالف مع العدو والتطبيع معه من تصميم المقاومة الفلسطينية، والشعب الفلسطيني على المضي قدماً في طريق التحرير الكامل، وتطهير المسجد الأقصى. إنَّ فلسطين اليوم تمثّل الحسين المظلوم، ونصرة فلسطين هي نصرة الحسين وهي نصرة الحقّ[1].

صرختا حقّ في كربلاء والقدس

إنّ صرخة الإمام الحسين (عليه السلام) هي صرخةُ حفيد رسول الإسلام (صلّى الله عليه وآله)، من أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً[2]،

(١) جلَّ المعنى مستفاد من مقالة للزميل صالح لفتة، نشرت على موقع (الحوار المتمدّن) الالكتروني.

(٢) نزلت آياتٌ متعدّدةٌ في شأن أهل البيت (عليه السلام)، ومنهم الحسين (عليه السلام)، وحرّرت في هذا المجال كتب مستقلة جمعت هذه الآيات، وأمَّا هنا نتوقف عند (آية التطهير) التي نزلت كراراً ومراراً للتأكيد على المكانة الخاصّة لآل محمد (عليه السلام)، مرّة في بيت أمّ سلمة، ومرّة في بيت عائشة، ومرّة في بيت فاطمة (عليه

السلام)، ومرّة في بيت صفية، وإليك بعض الروايات، وللمزيد راجع الفيروزآبادي، مرتضى، كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، مجلد١، ص ٢٦٥، ٢٨٩، المجمع العالميّ لأهل البيت.

١. صحيح مسلم، باب فضائل أهل بيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بسنده عن عائشة (رض) قالت: خرج النَّبيُّ (صلّى الله عليه وآله) غداة، وعليه مرط مرّحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (مسلم: م٤، ص٢٢٩، دار الخير ـ دمشق) قال الفخر الرازي: "اعلم إنّ هذه الرواية كالمتفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث". (التفسير الكبير للفخر الرازي: م٨، ص٨٥).

٢. صحيح الترمذي، روى بسنده عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال: لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أمّ سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره فجلّلهم بكساء ثمّ قال: اللَّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله، قال: أنتِ على مكانك وأنتِ على خير (سنن الترمذي: م٥، ص٣٥١، دار إحياء التراث العربي- بيروت).

٣. روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين، بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لمّا نظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الرحمة هابطة قال: ادعوا لي ادعوا لي فقالت صفيّة: مَن يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي؛ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم فألقى عليهم النبيّ (صلّى الله عليه وآله) كساءه ثمّ رفع يديه، ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وعلى آل محمّد وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (مستدرك الصحيحين: م٣، ص١٤٨، دار الفكر ـ بيروت) قال: هذا حديث صحيح الإسناد..

ومن أمرنا الله باتّباعه وطاعته كما في حديث الثقلين [1]، ورغم وجود هذه

---

٤. (في بيت السيّدة فاطمة (عليها السلام) قال السيوطي في الدرّ المنثور، وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والطبراني، والحاكم، وصحّحه. والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع (رض)، قال: جاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى فاطمة (عليها السلام)، ومعه الحسن والحسين وعليّ (عليهم السلام)، حتّى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحدٍ منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوباً ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وقال: "اللهمَّ هؤلاء أهلُ بيتي، اللّهمَّ أذهِبْ عنهم الرجسَ وطهِّرْهم تطهيراً" (الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: م١٢، ص٤١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة).

(١)سمّي الحديث بذلك؛ لوجود كلمة (الثقلين)، والمراد: القرآن الكريم الذي هو الثِقْلُ الأكبر، والعترة النبوية الطاهرة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم الثِقْلُ الأصغر، رَوى المحدّثون هذا الحديث بصيغٍ متفاوتة من حيث اللفظ، إلَّا أنَّ هذه النصوص تتّحد في المعنى والمضمون، ولعل السبب في هذا الاختلاف يعود إلى أنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) هو الذي أدلى بهذا الحديث بصيغٍ مختلفة وفي مناسبات عديدة. وهنا نشير إلى نموذجين من الصيغ المروية، ومن أراد الاطلاع على الصيغ المختلفة فليراجع رسالة حديث الثقلين التي طبعتها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، المطبوعة سنة: ١٣٧٤ هجرية–١٩٥٥م. فقد ذكرت الرسالة الحديث عن أربعين مصدراً من المصادر الموثوقة المعتبرة، أما نصّ الحديث:

النموذج الأوَّل: جاء في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: قام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُمّاً بين مكّة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثُمَّ قال: "أمَّا بعد، ألَا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا

الشخصية، فقد استولى على منصب إدارة الدولة الإسلامية، نقيضه في الحقّ والعلم، يزيد بن معاوية، الذي أقام السلطة على أساس الاغتصاب، وكرَّس أساليب الحكم الغريبة عن الإسلام، يقرّب ويبعّد، ويعطي ويمنع، على أساس الولاء للأمويين وحماية مكتسباتهم غير الشرعيّة، وهكذا أقام حكماً استبدادياً جائراً لا يلتزم بالإسلام وأحكامه، ولا يعترف بقيمه ومبادئه،

بكتاب الله واستمسكوا به" فحَثَّ على كتاب الله ورغَّبَ فيه، ثمَّ قال: "وأهل بيتي، أذكِّرَكُمُ الله في أهل بيتي، أذكِّرَكُمُ الله في أهل بيتي، أذكِّرَكُمُ الله في أهل بيتي" (مسلم، ج٤، ص١٨٧٣، برقم ٢٤٠٨، دار إحياء التراث العربي، ودار القلم، بيروت).

النموذج الثاني: حدَّثنا أبو النَّضر، حدَّثنا محمّدٌ - يعني ابن طلحة - عن الأعمش عن عطيَّة العَوفي، عن أبي سعيد الخُدْري، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قال: "إنّي أُوشكُ أن أُدعى فأُجيب، وإنّي تاركٌ فيكم الثَّقَلَين، كتابَ الله عَزَّ وجَلَّ، وعِتْرَتي، كتاب الله حَبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أَهْلُ بيتيَ، وإنَّ اللطيف الخبير أَخبرني أَنهما لَن يفترقا حتّى يَرِدا عليّ الحوض، فَانْظُرُوني بِمَ تَخْلُفُونِي فيهما" (مسند أحمد: حديث: ١٠٧٠٧). وقد أدلى الرسول (صلّى الله عليه وآله) بهذا الحديث في مواردَ عديدةٍ منها: بعد انصرافه من الطائف، يوم عرفة في حجَّة الوداع، يوم غدير خمّ على منبره في المدينة، في حجرته المباركة، وهو في مرضه، والحجرة غاصَّةٌ بأهلها.

ونستخلص من هذا الحديث: التلازم والاقتران بين القرآن والعترة الطاهرة والحسين منها، القرآن حقٌّ على الدوام، والعترة أهل الكساء كذلك، وإلّا لصدق الافتراق، وذلك ما نفاه الرسول (صلّى الله عليه وآله): " لَن يفترقا حتّى يَرِدا عليّ الحوض"، التمسّك بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة (عليهم السلام) ولأنَّ المراد من التمسّك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه، فكذلك التمسك بالعترة الطاهرة من أهل البيت هو الأخذ بتعاليمهم واقتفاء نهجهم.

ولولا صرخة الإمام الحسين (عليه السلام) واستشهاده، لنجح يزيد وأتباعه المنحرفين في تفريغ الإسلام من محتواه الربانيّ بالكامل، وعرضه مقلوباً أمام الناس يخدم وجودهم وأهدافهم، من هنا كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ذات عمقٍ فكريٍّ وإنسانيٍّ وتكليفٍ شرعيٍّ، تدرك حجم ونوعية التهديد اليزيدي للدين الحنيف، ومصالح الأمّة ومكتسباتها.

قال الإمام الحسين (عليه السلام): "..ألَا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنِّي لا أرى الموت إلَّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلَّا برما ..[1] " كما نقل عن جدّه المصطفى عليهما سلام الله: ".. من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله .."[2].

وصرخة القدس هي صرخة شعبٍ مظلومٍ شُرِّد عن وطنه، وسُلب حقّه التاريخيّ في أرضه ومقدساته، وخيرات بلده، وهي صرخةٌ ضدّ التحالف الشيطاني لقوى الاستكبار العالمي بقيادة أمريكا والصهيونية اليهودية العالمية، هذا التحالف الذي هجّر شعب فلسطين من أرضه، وهدف إلى إبعاد

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣١٠، الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، ج٩، ص١٩٢؛ ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، ص٣١٥؛ الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ج٣، ص١١٥؛ الحلواني، الحسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٨٨، الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٩٤.

المسلمين عن مركز الإشراف على القدس التي تجمع الأديان السماوية على تقديسها، وفرض الهيمنة الصهيونية عليها لما تمثّله القدس من ثقلٍ عالميٍّ دينيٍّ وثقافيٍّ وسياسيٍّ، حيث عمدوا إلى إبعاد المسلمين عن مسؤولية الإشراف على القدس، والتمتّع بذلك الثقل العالمي الديني والثقافي والسياسي، ولولا صرخات المجاهدين الأبطال في القدس، وعموم فلسطين واحتجاجهم ومقاومتهم، ولولا إسناد المقاومة الفلسطينية المسلّحة ومن خلفها محور المقاومة؛ لتحقق لقوى الاستكبار العالمي والصهاينة ما يريدون حتّى النهاية وهيهات ..

فالشعب الفلسطيني يتصدَّى في كلِّ لحظة للحملات الصهيونية الوحشية بأيدٍ خاليةٍ وبجرأةٍ وبسالةٍ وشجاعةٍ منقطعة النظير، كما فعل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه الأوفياء في التصدّي للجيش اليزيدي الجرَّار، وهو - أي الشعب الفلسطيني- على وعي كامل بأهداف الصهاينة وقوى الاستكبار، وسوف يتغلب على قوى الاستكبار، وأقزام التطبيع والتتبيع، إذا استمر في التمسك بالنهج الجهاديّ الحسينيّ ولم يستمع إلى المطبّلين المنبطحين الذين يزعمون أنَّهم يريدون الخير للشعب الفلسطيني، ويبثّون المغالطات السياسية، وهم في الحقيقة يريدون الاحتيال؛ لتحقيق مآربهم الخبيثة، وليقطعوا الطريق على الشعب الفلسطيني المستضعف من ممارسة حقّه في تقرير المصير.

لقد استشهد الحسين (عليه السلام) وجميع أصحابه وهم عطاشى، وحزَّت رؤوسهم، ورفعت على الأسنّة، ورضَّت أجسادهم بحوافر الخيل، وحرقت الخيام، وروِّع الأطفال والنساء، وأُخذوا إلى الظالم يزيد سبايا، وهم أهل بيت النبوَّة، وهم عائلة نفس الرسول محمّد (صلّى الله عليه وآله)! وسمُّوا

خارجيين وشُوِّهت صورة الحسين (عليه السلام) في الإعلام الأمـويّ، تماماً كما تُشوَّه اليوم صورة المقاومة، والسائرين عـلى نهـج المقاومـة المستلهمة مـن الفكر الحسيني في الإعلام اليزيدي والاستكباري المعاصر، ويـصفونهم بغـير حقٍّ بالتطرُّف والإرهاب ،مع أنَّهـم يـأمرون بـالمعروف، وينهـون عـن المنكـر ويجاهدون الظالمين قولاً وفعلاً، ويدعون إلى الله بالحكمـة والموعظـة الحـسنة، ويجادلون بالتي هي أحسن، ولكنَّ الظالمين لا يفقهون.

وفي فلسطين يقتل الرجال والنساء والأطفـال، ولـو عـلى أقـلّ شـبهةٍ، ويتعّرضون للضغوط والظلم والعدوان، ويـسجنون بـدون محاكمـةٍ، وتُهـدَم البيوت، وتُخرَّب المزارع والمصانع والممتلكات والحـضارة، ومـع ذلـك يُقـدَّم الصهاينة في الإعلام الغربي على أنَّهم مظلومون، وأنَّهم كانوا ولا يزالوا ضحيةً للاضطهاد والظلم والعدوان، ويُقدَّم الشعب الفلسطيني المستضعف المظلـوم على أنَّه شعبٌ متوحّشٌ وعدوانيٌّ، ويقدِّمون حركات المقاومة في فلسطين عـلى أنَّها حركاتٌ إرهابيّة عنيفةٌ لا تتقبل الحوار، وتتعطَّش للقتل وسـفك الـدماء، وفي كلا الصرختين نجد التضادّ بـين نظـامين مـن القـيم: القـيم التـي تجـسّد معسكر الحسين (عليه السلام) تجلّت في صرخـة القـدس المدويّـة المـصبوغة بالحقّ، والخير والوفاء والبسالة، والتضحية والاستشهاد، ونظام الـشرِّ الـذي تجسَّد في المعسكر اليزيدي الظالم المتشبّث بالحياة الدنيا، والمكتـسبات المحرّمـة ويتجـسَّد اليـوم في المعـسكر الـصهيوني المحتـل لفلـسطين الإبـاء والثـورة، ويصطبغ نظام القيم في المعسكر اليزيدي والمعسكر الصهيوني بصبغة الـبطش والدم، وانتهاك كلّ الحُرمـات والمحّرمـات الـسماوية، وفي المواثيـق الوضـعية الدولية، وانتهاك كلّ المقدّسات السماوية والإنسانية.

صرختا نورٌ وفطرة

إنَّ الإنسان بحسب فطرته التي فطر الله البارئ الهادي الناس عليها، يعشق الحقّ والخير والعدل والجمال، ويميل إلى هذه القيم، ويعمل من أجل تمثلها وتجسيدها على أرض الواقع؛ ليتجلّى بذلك نور الله الحكيم، ويقام الحقّ والعدل، ويفتح الطريق لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، من خلال تكامل الإنسان المادي والمعنوي.

وبهذه الفطرة، يرفض الإنسان الباطل والشرّ، والظلم والفساد في الأرض، فسبيل الفطرة المركوزة في البشر هو المقاومة لهذه التجاوزات وليس السكوت عليها، والتعايش معها، فكلُّ من يسكت على الباطل، والشر والظلم والفساد في الأرض مخالفٌ للعقل والفطرة والدين الحنيف.

وهكذا كانت صرخة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، وصرخة المجاهدين الأبطال الأشاوس في القدس وغزّة، وفي عموم فلسطين، تنبعان من الفطرة الإنسانية، وتعبرّان عن العقل والدين، وتؤكّدان: بأنَّ الحقّ والعدل، والدين لم يُهزموا.. ولن يهزموا، وأنَّ معسكر الحقّ على مرِّ الأزمان متحرّرٌ - وبإرادة القهَّار- من القيود والأغلال، ولن يقع أبناؤه أسرى المستكبرين والمستبدّين، والفراعنة والطواغيت، وإن نجح المستكبرون في تجيير الدين لخدمة مصالحهم على أيدي وعاظ السلاطين[1] فإلى حين، ولن

(١)كما فعل إمام الحرم المكّي المعين من قبيلة بني سعود "عبد الرحمن السديس"، حيث جاهر بالدعاء للرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، ووصفه بأنَّه يقود العالم والإنسانية إلى مرافئ الأمن والسلام والاستقرار والرخاء، ودعا له بأن يسدّد الله خطاه ويبارك جهوده، وهي جرأة معهودة من شيوخ يدعون بالنقيض طالما أنَّه يرتبط

يستطيعوا ذلك إلى الأبد، وأنّ القوى المتجبّرة لـن تـتمكن مـن الاسـتقرار في البلاد الإسـلامية، والاسـتمرار فيهـا، وأنَّـه لابـدَّ أن يتغلـب المستـضعفون، وتنتصر إرادتهم على كلِّ قوى الظلم والاستكبار في العالم.

انظروا إلى الجيل الصاعد من الشعب الفلسطيني المجاهد، الذي يجاهـد ويبتكر الأساليب في المقاومة[١]، واضعاً نـصب عينيـه وعـد الحـقّ للمـؤمنين بالنصر، طال الزمن أو قصر، وهو جهادٌ وكفاحٌ يبعث عـلى الأمـل، وسـوف يفتح الطريق لزوال الكيان الصهيوني، ويتابع إقامة الحجّة (بعد لبنـان وغـزة) عـلى المنبطحـين الـذين بـاعوا أنفـسهم، وأصـبحوا أسرى وأذلّاء، يعقـدون الـصَّفقات الـسرّيّة والعلنيـة، ويـدخلون المـساومات المخجلـة، ويقـدمون التنازلات؛ لخدمة الصهاينة وقوى الاستكبار، عـلى حـساب مـصالح الأمَّـة العادلة..[٢].

بالسياسة، وقد أفرط الشيخ الوهابي في دعائه وأعطى الفرصة لاتّهامه بالنفاق الـديني بمستوره السياسي، والسديس نموذجٌ واحدٌ من بين كثيرين فـيما يـسمى الـسعودية، والإمارات، وبلاد أخرى باتوا يزوّرون التاريخ؛ لتبييض وجه الصهاينة.

(١) سجّل شهر آذار/ ٢٠٢٢ لوحده أرقاماً تاريخيّةً في عدد العمليات الفدائيّة الفلسطينية بين دهس وطعن، وإطلاق نار، وكذلك في عدد القتلى والجرحى الإسرائيليـين، وقـد ارتفع عدد القتلى جرّاء ١١ عمليةٍ فدائيةٍ في شهر واحد إلى ١٢ قتيلاً إسرائيلياً، إضافةً إلى أكثر من ٣٠ مصاباً.

(٢) نفَّذ الشهيدان خالد وأيمن اغباريـة، مـن مدينـة أمّ الفحـم في الأراضي الفلـسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، هجوم الخضيرة في ٢٧ / آذار/ ٢٠٢٢ عـلى عـددٍ مـن عنـاصر الشرطة الإسرائيليّة، وقد أسفرَ عن مقتل ما لا يقلّ عن شرطيّين إسرائيليَـيْن وجـرحِ ١٢آخرين، الهجوم الاستشهادي بمثابة ترحيب على طريقة أسود المقاومة الفلسطينية

صرختا بسالة واستشهاد

لم يكن بين عيني الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه إلّا الموت ونصرة الحقّ، والدين والدفاع عن المقدسات، ورضا الرَّبّ تعالى، ولم يكن لهم طمع في المال أو الجاه أو المناصب، وجاهدوا ببسالةٍ وصدقٍ حتّى الشهادة.

وهكذا المجاهدون الطليعيّون في فلسطين الذين يدافعون عن الدين والأرض والمقدسات، وتحصيل رضا الله ببسالةٍ وشجاعةٍ غير معهودةٍ، صمودٌ حتّى الشهادة؛ من أجل صناعة الأمل للشعب الفلسطيني، وكافّة الشعوب المستضعفة، وسوف ينجحون في تحقيق أهدافهم وإرادة شعبهم بحول الله الجبَّار وقوَّته، إذا واصلوا التمسّك بالنهج الجهاديّ الحسينيّ الاستشهاديّ الصائب، فقد علَّم الإمام الحسين (عليه السلام) المستضعفين والثوار في العالم، أن لا يهابوا الأعداء لكثرة عددهم، وقوة عتادهم، وأنَّ القلَّة قادرةٌ على تحقيق النصر إذا كانت مقتدرةً نوعياً، وسوف يكون لها حُسن العاقبة إذا تمسّكت بالحقِّ وقاومت، وقدَّمت التضحيات في سبيل تحقيق

المنفردين بوزراء الخارجية العرب الذين شاركوا فيما سمّي قمة النقب، وتحذيراً بأنَّ الكيان لن يحميكم، وأنتم أضعف من أن تحموه، وهذا التزامن يؤكّد أنَّ شعبنا ومعه شرفاء الأمَّة يعرفون الطريق جيداً، فيا كفرة العرب طبّعوا ما شئتم، وتحالفوا مع من تشاؤون، فقد اخترتم موقعكم في الصراع، وستتشاركون مع الاحتلال هزائمه بذل مضاعف، وخزي في الدنيا والآخرة، وأن يتحوّل كلّ مقاوم في شوارع الأرض المحتلة، إلى سريّة من المقاتلين من المسافة صفر، هو حرب تحرير فيها كلّ معاني الإبداع والدهشة والفداء، هي حربٌ لن يستطيع العدو التعامل معها، ولا احتمالها. فإمّا الرحيل وإمَّا الاختباء مذعوراً خلف الجدران، لقد تحوّل السجين إلى سجّانٍ بقدرة المقاومة، تماماً على نهج الحسين بن علي، ودمه الذي انتصر على سيوف الطغاة الأمويين.

أهدافها العادلة، "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون[١]"، "لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ "[٢].

صرختا ألمٍ وحزنٍ تحرق الظالمين

لقد تغيرَّت أحوال الغالبيّة العظمى من المسلمين في زمن الحسين (عليه السلام)، فقد أحبُّوا الدنيا وملذّاتها، ولم يثبتوا في مقاومة الظلم والانحراف اليزيدي عن الدين وأحكامه، وخذلوا استغاثة سبط الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، وأسلموه للذئاب البشريّة، الذين قتلوه مع قلَّةٍ من أصحابه أفظع قتلة، وممَّا يُؤسف عليه أنَّ بعضهم صوَّر تحرُّك الحسين (عليه السلام) بأنَّه شقٌّ لصفوف المسلمين، وضربٌ لوحدتهم، ومخالف لنهج الإسلام، وقد ردَّ عليهم بقوله (عليه السلام): "..إنّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحاً وقال: إنَّني من المسلمين .."[٣].

وهناك أيضاً صرخة استنقاذ وتطهير القدس من دَنس الصهاينة، تُواجَه اليوم بصمتٍ مُريبٍ، ولم تلقَ استجابةً شعبيةً، أو رسميةً بالمستوى المطلوب،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٣) انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٩٢. فقد رد الإمام الحسين (عليه السلام) على رسالة عمرو بن سعيد والي يزيد بن معاوية على مكَّة؛ إذ ورد في رسالته إلى للحسين: أُعيذك من الشقاق، فإنّي أخاف عليك من الهلاك، فردّ الحسين على هذه الدعاية الأموية التي كانوا يروّجون لها زوراً ومما جاء في ردّه: أمّا بعدُ فإنَّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحاً، وقال إنّي من المسلمين.

فالشعوبُ منهكةٌ بظلم الحكام ومقيدةٌ باستبدادهم، والحركات الإسلامية تعاني من الاختراق والتمزّق والتشرذم، والحكومات خادمةٌ لقوى الاستكبار، ومسلَّمة لها بدون حياءٍ لتفعل ما تشاء، في سبيل أن يستمرّوا في تسلّطهم على رقاب الناس لأيّامٍ معدوداتٍ .. ويضطهدوا الأحرار الذين ينادون بحقّ الشعوب وسيادتها الواقعية، وينهبون أموال الشعوب المحرومة، ويتركوها ترزح تحت وطأة الفقر والحرمان، تركوا للصهاينة أن يقتلوا الشعب الفلسطيني، ويعيثوا في الأرض الفساد، وهم في سكرتهم يعمهون، ولا حياء ولا خجل ممّا يقال عنهم وما يفعل فيهم من الذّلة![1] وهكذا أصبحت صرخةُ

---

(١) بعدما أطلق الرئيس المصري الأسبق المرحوم جمال عبد الناصر في منتصف القرن الماضي مقولته الشهيرة "ارفع رأسك يا أخي، فقد مضى عهد الاستعباد"، دخل العرب في عصرٍ جديدٍ اتَّسم بالكرامة والعزّة، افتخاراً بقائدٍ جاء ساعياً ليخلصهم من عهود الذل والخنوع، لكنَّ عهد الاستعباد عاد مع بني سعود حكّام الحجاز، ومع بقية أنظمة القبائل المتصهينة، وتوّج هذا العهد مع جزّار أطفال اليمن ولي عهد السعودية، محمّد بن سلمان حين شاهدنا عام ٢٠١٧م زعماء معظم الدول العربية والإسلامية يحجّون إلى الرياض مطأطئي الرؤوس؛ ليستقبلوا الرئيس الأمريكي السابق ترامب، بناءً على أوامره بعدما أشبعهم إهاناتٍ وعباراتِ إذلالٍ وتهكُّم؛ ليقدّموا له الولاء، وكأنَّهم يستقبلون فاتحاً جديداً، وفي الواقع كانوا أشبه بالنعاج التي تقف أو تتحرّك لدى اشارة من راعيها، علماً أنَّه قبل أن يحضر إلى المنطقة أعلن بوقاحته الصريحة أن دول الخليج بدون أمريكا ما كان لها وجود، وسوف تتحدث الفارسية حسب زعمه! وأنَّ عليها أن تدفع الثمن وأن تسدَّ الديون، ولم ينبس أحد من ملوك وأمراء الخليج ببنت شفةٍ، عرف ترامب من أين تؤُكل كتف السعودية، التي جلّ ما يشغلها أن تتسلَّط على المسلمين بضوءٍ أخضر صهيوني وأن تبيد عدوها الذي صنعته عصابة

القدس في فلسطين كصرخةِ الحسين (عليه السلام) في كربلاء، لا حياة لمن تنادي ولكن كما عادت واعية الحسين وأحيت موات الإنسانيّة، فستكون صرخات فلسطين ومقاومة أسوده المنفردين[1] منطلقاً جديداً لأمتنا في القريب إن شاء الله.

الرياض لنفسها (إيران)؛ ولذلك سكتت عن الإهانات التي وجّهها ترامب للعرب والمسلمين، وحوَّلت حينها مبلغاً بقيمة ١١٠ مليارات لقاء أسلحةٍ تواجه بها إيران، يضاف إليه ٢٧٠ مليار دولار لاتفاقياتٍ مختلفة.. فهل هناك من يمكنه إجراء حساب كم تبلغ تكلفة بناء اليمن الذي دمَّره التحالف السعودي الصهيوني الأمريكي؟ وإنقاذ أطفاله وأهله من الأمراض، وويلات الحرب والعدوان، أو كم تحتاج السعودية إلى تحويل بلادها إلى دولة صناعية وتطور علمي يرقى بشعبها.. وما على المتنبي، شاعر العرب الأوّل، سوى أن يتململ في قبره وهو يردّد "يا أمة ضحكت من جهلها الأمم". من المؤسف أنَّ مقولة عبد الناصر المشهورة تحوَّلت إلى عكسها، وباتت "طأطأ رأسك يا أخي.. فقد عاد عهد الاستعباد" هذا هو حال العرب اليوم مع محور الاعتلال، وبني سعود والمطبّعين!

(١) (الذئاب المنفردة) المصطلح الذي يطلقه الإعلام المعادي على العمليات الفردية الفدائية المقاوِمة للكيان المؤقت، وعليه وجب وضع مصطلحٍ مقابلٍ لهذه التسمية، ويفضّل (الأسود المنفردة)، ودائماً عند ذكر أيّ عمليةٍ إجراميةٍ نفذَّها (ذئبٌ منفردٌ) تذهب الأذهان نحو داعش والمجرمين في الغرب الذين يحملون أفكاراً متطرّفة، في المقابل يشتهر الأسد بحماية عرينه، ولا يعتدي على عرين الآخرين، ويمارس القتل لهدف محدّد، ولا يقتل لأجل القتل، وكون دوافع الفدائيين الفلسطينيين غير مرتبطةٍ بالجريمة، وهي تندرج في إطار صدّ العدوان، واستعادة الحقوق فلا بدَّ من التركيز على التسمية والتوصيف، وهي (أسودٌ منفردةٌ) نسبةً إلى التخطيط المنفرد المنطلق من هدفٍ تحرريّ واضحٍ لا جدال فيه.

التشابه بين مجتمعنا الحالي، والذي عاش فيه الحسين

إذا أردنا أن نكتسب درساً من عاشوراء، ونتأمَّل كيف أقدم الناس على مثل هذا التعامل القبيح مع الحسين (عليه السلام)، وهو الحفيد نفسه الذي شاهدوه مراراً في حضن النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، وشاهدوه مرَّات يأتي إلى المصطفى (صلّى الله عليه وآله) وهو يخطب على المنبر فاذا اقترب الحسين (عليه السلام) من المنبر فإنّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله) ينزل عن درجاته، ويحتضنه ويهدِّئ من روعه؛لأنَّه (صلّى الله عليه وآله) لا يستطيع أن يتحمَّل بكاء الحسين، وهكذا كان يوصي الناس عمليّاً برعاية ريحانته من الدنيا سيّد شباب أهل الجنَّة.

وكذا في الوقت الراهن نرى اليزيديين المعاصرين يخططون ويعملون على الدوام لتصفية القضية، ودفع المجتمع الإسلاميّ عموماً نحو الاستسلام، والتسليم بوجود الصهاينة، مستفيدين من الإمكانيّات الإعلامية، والترغيب والتهديد.

وعلى الشباب الفلسطينيّ المقاوم أنّ يدرك أن من يريد القضاء على مقاومته بالإضافة إلى كيان الاحتلال ودول الاستكبار هم أنظمة القبائل المتهوّدة، وسلطة التنسيق الأمني مع الصهاينة، فهم يقومون بنفس الدور الذي قام به المنافقون مع الحسين (عليه السلام)، لاحظوا في الماضي لم تكن حاجةٌ كي يأتي الروم، أو الفرس لتدمير الإسلام الأصيل، بل أبناء عمّ الحسين نهضوا بالمهمَّة، فبني هاشم وبني أمية يرجعون إلى القبيلة الأكبر قريش.. وفي مجتمعنا الفلسطيني تأتي المساعدات عبر كيان العدو الإسرائيلي للسلطة الفلسطينية، ولبعض الجهات (المدنية) التي في الحقيقة تعادي المقاومة وقيم

المجتمع، وتسعى بعلمٍ أو بغير علمٍ لخدمة مشاريع الاحتلال ومن وراءه[1]،

---

(١) كما هو دور (المنظمات الأهلية) التي تكاثرت بعد قدوم سلطة أوسلو وأصبحت لبعض الإعلاميّين، أو السياسيين أو الناشطين، أحد أهم أسباب الارتزاق، ميزانيات مالية من الأمريكيين، والأوربيين المؤيدين لإسرائيل، لورشات عمل وموظفين عملهم الجلوس خلف الحاسوب وكتابة التقارير، تقارير ماذا؟ الله اعلم! برواتب عالية، وسفريات (٥ نجوم)، وفي النهاية تقوم الدول صاحبة المال الحرام، بتسجيل فاتورة قيمتها بالملايين تحت مسمى مساعدات للشعب الفلسطيني! هذه المجموعات بالمختصر دكاكين للدول الأجنبية ناهبة الشعوب لتمرير أجندات خفية. يبدؤون بموضوعاتٍ تحت عناوين: (جمعيات دعم المرأة، أو مناهضة العنف الأسري، أو التثقيف الجنسي، وموضوعات الأطفال والشباب) دورات في المناطق المهمشة، مسرحيات مقابل آلاف الدولارات .. عناوين مشاريع أميبية تكاد لا تفرّق بين عنوانٍ وآخر .. مصطلحات بظاهرها تدعو إلى التمكين والديمقراطية والتأهيل المجتمعي، وفي باطنها نتاج خططِ اجتماعاتِ الحرب الناعمة علينا في الغرف السوداء؛ لتدجين الشعب بثقافة الاستسلام للعدو وتقبله في ضرب العمق الثقافي: كلّ ما يحتاجه الأمر تجنيد مثقفين وفنانين، والسخاء عليهم وإكرامهم وإقناعهم بضرورة الدمج الثقافي للرقي بالهوية الفلسطينية! لكن إيّاك: ابتعد عن أدب المقاومة وثقافة النضال (البالية)، وانظر إلى الأمام .. فكّر بالإنسان، ولكن لا تقترب من خطّك النضالي، ورغم تغيّرك، كن إنساناً متسامحاً لبقاً وأنيقاً في طرح أفكارك، ولا تكن (متعصّباً)، (دعمهم هو من أموالنا المنهوبة المعاد تدويرها لبعضنا على شكل منحٍ وهبات) من الأمريكيين والأوربيين وربَّما من الصهاينة، جبهة الاستكبار لا تدفع من دون أن تكسب (ويربحوا) الكثير لمخططاتهم المريبة. أين تذهب تلك الملايين التي تفوق ميزانية السلطة؟ وما هي الخدمات التي يقدمها من اتخموا بهذا المال الحرام؟ مؤخراً صاروا يروجون منتج الدراسات الخاصَّة بالسلام والتعايش، وحوار الحضارات والتأهيل النفسي، وواضح أنَّ كلَّ هذا الجهد يأتي في سياق الحرب الناعمة لإقناع الناس

وفي بعض الأحيان لا يضطرَّ الاحتلال للتدخُل مباشرةً لتصفية أهل المقاومة، بل يستخدمون عملاءهم، كما حصل مع نزار بنات[١] الفلسطيني المقاوم الحسيني البصير، والعالم بزمانه[٢] . هذا في الداخل الفلسطيني ناهيك عن

بالتطبيع واعتباره أمراً حضاريّاً طبيعيّاً مقابل مبالغ هائلة لهذه الدراسات المتشابهة في المضمون .. ثم يتم تجنيد جيش من حملة هذه الأفكار ومنحهم فرصاً للسفر والمشاركة في مؤتمرات دولية، لا بل وتكليفهم بتدريب آخرين خارج فلسطين!! لقد آن لأبناء شعبنا الفلسطيني أن ينتبه لهذه المجموعات، ويتعامل بحذرٍ شديدٍ معهم، وقد أخبرني بعض اهل المقاومة في غزة أنَّ كثيراً من هذه الجهات الممولة مرتبطةٌ بشكلٍ وثيقٍ بأجهزة استخباراتٍ أجنبيةٍ على رأسها (C I A)، وصولاً إلى الموساد الصهيوني. حذار أن نسترزق على حساب بؤس شعبنا، وضرب مقاومته، كثير من هؤلاء المتمولين أعماهم الجشع، فصاروا يتبارون في كسب المزيد من المشاريع، دون أيّ رادع أخلاقيّ فلا تستغرب أنَّ تكاثر العملاء الكاملون للموساد الصهيوني في الحلقات الأخيرة.

(١) نزار خليل محمد بنات (١٩٧٨-٢٠٢١) ناشطٌ سياسيٌ فلسطينيٌ ضدّ مشروع التسوية، واتفاقية أوسلو الخيانية، وضدّ (سلطة التنسيق الأمني) في الضفة الغربية، كان يهاجم سياسات محمود عباس وسلطته، استشهد على يد قوة من الأجهزة الأمنية التابعة لعباس، وبالتنسيق مع الإسرائيليين حَضرت إلى منزله واعتقلته ليلاً، وفي ساعات الصباح الأولى أعلنت وفاته كان نزار حراً على الفساد المستشري في الحكم المحلي الفلسطيني التابع للسلطة، ورئيس وزرائها محمد اشتيه، ومعروف تأييده لفكر محور المقاومة، ويرى في السيد حسن نصر الله والشهيد قاسم سليماني مدارس للكفاح والنضال والاستقلال، ويعد أيضاً من مؤيدي الكفاح المسلح ضد الاحتلال، وناقداً لاذعاً للسياسات السعودية، والتطبيعية الخليجية مع الصهاينة، وتنقل مصادر صحفية فلسطينية أنَّ السعودية طلبت من عباس إسكات الرجل إلى الأبد.

(٢) ينسب هذا القول لجعفر الصادق (رضي الله عنه): العالم بزمانه، لا تهجم عليه اللوابس.

تسهيلات الحكومات العميلة في دول التطبيع والتتبيع.

ولنكن واضحين فإنَّ كثيراً من أدوات الاحتلال وأصدقاء أمريكا من الفلسطينيين في الداخل والخارج، والناشطين المدنيين قد جاؤوا من خلفيةٍ فصائليةٍ ثوريةٍ، تجود عليهم أدوات الاحتلال وأنظمة العمالة، أو التمويل الأمريكي، أو الأوربي المباشر أحياناً بالدعم المالي، وهم ينفذّون الأدوار المشبوهة في تشويه الحقائق، وطعن المقاومة في الظهر أو الغدر أحياناً والسعي في تشويه جبهة المقاومة، أو إثارة الفتن الطائفية من كلِّ جانبٍ.

هناك حربٌ وحصارٌ وتجويعٌ وتشريدٌ على امتداد جغرافيا المقاومة، فهل يسمح الحسينيون المقاومون بوضع العراقيل وتسهيل مهمَّة الصهاينة؛ للقضاء على المقاومة ومحورها ؟ هذا المحور الحقُّ الذي هو مخيم الحسين المعاصر بدون مبالغة، ولو فعل بعضنا وتهاون أو أخفض رأسه لخطط العدو وتنكَّر لجبهة المقاومة؛ فالنتيجة أنَّنا نذبح الحسين من جديد، نكرِّر ذنب من أقدم على قتل حفيد رسول الله وأبي الأحرار الحسين بن فاطمة (عليهما السلام).

لكن... رغم كلِّ ذلك هناك ما يبشِّر بالخير العظيم، وكما وجدت تلك النماذج المحدودة في كربلاء ممّن قال للإمام الحسين في ليلة عاشوراء: ".. والله لو علمت أنِّي أقتل ثمَّ أحيى، ثمَّ أحرق ثمَّ أذرى يُفعل بي ذلك سبعين مرة ما تركتك.."[1]، ومثل هذه النماذج رأيناها بين صفوف أهل المقاومة الفلسطينية، وحيث كنَّا نتذكر من سيرة صحابة النبيّ المتقين رضوان الله عليهم قصّة حنظلة الغسيل[2]، ذاك الصحابي الذي تزوج، وفي اليوم الذي أعقب ليلة

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٩.

(٢) هو شاب لم يكن قد جاوز الرابعة والعشرين من عمره عند استشهاده، وهو ابن "أبي

زفافه شارك في غزوة أحد، ولكنَّنا في هذا الجهاد ضدَّ إسرائيل الغاصبة نملك الآلاف من أمثال حنظلة حاضرين في ساحات المقاومة في لبنان وفلسطين، وساحاتٍ أخرى. وأعرف نماذج كثيرة من سير هؤلاء الشهداء، منهم المجاهد العابد الزاهد عبد الله عوض ساكب البلبيسي[1] الذي ارتدى ثوب الجهاد،

عامر" عدوّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومن المحرّضين ضدّه وكان مع المشركين في أُحُد، وكانت ليلة أُحُد ليلة زواج حنظلة، ولكنّه عندما سمع بنداء الجهاد استأذن النّبيّ (صلّى الله عليه وآله) بأن يتوقّف في المدينة ليلة واحدة لإجراء مراسيم الزفاف والإقامة ليلة عند عروسه ثم يلتحق بالمعسكر الإسلامي صبيحة الغد من تلك المعركة، فأَذِنَ له النبي (صلّى الله عليه وآله)، ولمّا أصبح خرج من فوره وتوجّه إلى أُحُد وكان عليه غُسلاً واجباً، وسقط حنظلة شهيداً إلى جانب حمزة وعمرو بن الجموح، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "رأيتُ المَلائكَة تغَسِّلْ حنظلةَ بينَ السّماءِ والأرض بماءِ المُزن في صحائفَ من ذهَب"، فكان يسمّى غسيل الملائكة، أو حنظلة الغسيل، وثمرة تلك الليلة قبل استشهاده ابنه عبد الله من الذين ثأروا لاستشهاد الحسين (عليه السلام) يوم الحرة حيث خرج الصحابة وأبناء الصحابة في المدينة المنورة على يزيد بن معاوية وخلعوه بعد السنة التي قتل فيها الحسين (عليه السلام) ٦٣ هـ، وكان من قيادات المعركة (عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة)، وقد بيّن عبد الله بن حنظلة في نهضته: (والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح أمهات الأولاد والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة)، وقد قتل في هذه الواقعة خلق كثير من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من مهاجرين وأنصار، وغيرهم من أبناء الصحابة، ولما بقي لواء عبد الله بن حنظلة حوله خمسة رجال، رمى درعه وقاتلهم حاسراً حتّى استشهد (رضوان الله عليه) وأبناؤه العشرة.

(١) الشهيد عبد الله عوض البلبيسي، مواليد (١٩٩٣م)، لأسرة فلسطينيةٍ مجاهدةٍ، ترعرع

وصعد إلى صهوة جواده؛ ليجاهد ويدافع عن أبناء أمته مقبلاً غير مدبرٍ، تاركاً الدنيا بنعيمها وزخرفها، وقد صدق الله فصدقه الله، فترك عروسه وخرج ملبِّياً نداء الجهاد واستشهد، وهو يدك مغتصبات غلاف غزة؛ ردّاً على اغتيال القائد الكبير بهاء أبو العطا(١) قائد أركان المقاومة في حركة الجهاد الإسلامي.

وانتصر الدم على السيف وهزم اليزيديون

لقد نجحت صرخة الإمام الحسين (عليه السلام) في بعث الحياة في ضمير المسلمين من جديد، فاستيقظوا من غفوتهم على وقع الدم المسفوك بكربلاء، ولم تمضِ سوى أشهرٍ قليلةٍ، حتّى أعطت ثورة الحسين (عليه السلام) ثمارها الطيبة، فقد أدركت الأمة هول المصيبة، وفداحة ذنب التقصير والخذلان وعدم النصرة، وانفجرت الثورات ضدَّ الظلم والعدوان والاستبداد؛ للتكفير عن الذنب والتطهر بالتوبة، فألحقت الدماء الزكية الطاهرة الهزيمة بمن سفكها ظلماً وعدواناً، وتقوَّضت أركان دولة بني أمية،

في أحضان مسجد الشهيد فتحي الشقاقي في مسقط رأسه عزبة بيت حانون (غزة)، اختير من قيادة سرايا القدس لينضم إلى دورة عسكرية وتم اجتيازها، وكان نعم المجاهد الملتزم، وخلال مشواره الجهادي الذي أثبت شجاعته وسريته في العمل تم اختياره بعد (معركة البنيان المرصوص) عام ٢٠١٤م للعمل في الوحدة المدفعية، التي أذاقت المغتصبين الصهاينة في غلاف غزة كأس المنون.

(١) بهاء أبو العطا ويُعرف أيضًا باسمِ أبو سليم (١٩٧٧ - ٢٠١٩) هو قيادي عسكري وميداني في سرايا القدس الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة. اغتِيلَ وزوجته جرّاء قصفٍ صاروخي مُركّزٍ لمنزلِهِ في حي الشجاعية بِقطاع غزة صبيحة (الثاني عشر من تشرين الثاني/ ٢٠١٩م).

وانتصر الدم على السيف، وهَزم الحسين (عليه السلام) قاتليه، وسجَّل في صفحات التاريخ أنَّ الرساليّ الواثق بربّه ودينه ومنهجه وطريقه في الحياة، والذي يطمح في بناء صروح الفكر والعقيدة والدين والوطن، وكان يمتلك الإرادة والتصميم والاستعداد للتضحية بالنفس والنفيس، لا يتحجج بالموانع والعراقيل التي يزرعها الأعداء في طريقه ولا تهمُّه قلَّة الناصر، وتكالب الأعداء من حوله ولا يتراجع بحجَّةِ أنَّ الأكثرية ضدَّه، فيجمع المخلصين من أصحابه المستعدين للتضحية مثله من حوله ويقتحم بهم الميدان في سبيل الله، ولتكن كلمة الله والحقّ والعدل والحريّة هي العليا.

"..لقد هُزم اليزيديون بالفعل، ونسفت هذه التضحية الحسينية منقطعة النظير جميع الأسس والقواعد التي أقامها الأمويون؛ لتوطيد الملك في آل أبي سفيان، يقول بعض الكتّاب: "إنّ ما بناه الأمويون في أعوام هدمه الحسين في أيام، ونظر الناس إلى الخليفة نظرتهم إلى المجرم المستهتر، فنفر المسلمون من سياسته. لقد أطاح الإمام بنهضته المباركة بتلك الرؤوس التي نفخها الكبر وأثقلها الغرور، وأعماها الطيش، يقول السيّد مير علي الهندي: "إن مذبحة كربلاء قد هزَّت العالم الإسلامي هزّاً عنيفاً؛ ممّا ساعد على تقويض دعائم الدولة الأموية[1] "، وعملت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) على تكوين الحس الاجتماعي وخلق روح الثورة في النفوس، وقد تغيرت الأمة تغيراً كاملاً فتسلحت بعد خمودها بقوّة الإيمان، وقوة العزم والتصميم، وتحرَّرت من جميع السلبيات التي كانت ملّمة بها، فقد أخذت تنادي بحقوقها وتعمل

---

(١) السيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص٣٣٢.

جاهدةً على إسقاط الحكم الأموي الظالم، وهي تقدِّم بسخاءٍ القرابين في ثوراتٍ متلاحقةٍ تمثّل سخطها العارم على ظُلم بني أمية ولم يعد هناك أي ظلٍّ للخوف والفزع فيهم، حتّى اكتسحت مشاعر الزهو الأموي، وأطاحت بجبروت الأمويين وطغيانهم.

لقد قلبت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت سائدة في الأمّة[١] إلى مبادئ للثورة والنضال، والتحرّر من ربقة الذل والعبودية، فقد أعطاهم الإمام قوةً دافعةً، وأمدَّهم بروحٍ وثَّابةٍ لمقارعة الظلم والطغيان[٢] .." ويذهب العقّاد في كتابه (أبو الشهداء الحسين بن علي) إلى أنَّ الأوضاع في عهد يزيد بن معاوية بلغت حدّاً لا يعالجه إلّا الاستشهاد[٣]، ويقول في هذا السياق إنَّ القادة المستشهدين يخسرون حياتهم

(١) يقول الشهيد محمد باقر الصدر في محاضرة له عن قضية موت إرادة الأمة وانهيارها: (ومن مظاهر هذا الانهيار هو التناقض الذي يوجد بين قلب وعواطف الأمة وبين عملها هذا التناقض الذي عبر عنه الفرزدق بقوله للإمام الحسين (عليه السلام): (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)؛ لذلك كانوا يبكون، وهم يقتلون الإمام الحسين؛ لأنَّهم يشعرون أنَّهم يقتلون مجدهم، وآخر آمالهم المتمثّلة بالحسين (عليه السلام)، يقتلون البقية الباقية من تراث محمّدٍ المصطفى، وعلي المرتضى (عليهم السلام) .. هذه البقية التي كان يُعقد عليها الأمل في إعادة حياة الإسلام، مرض موت الإرادة في الأمّة موضوع يستحق التوقف عنده ومراجعته، راجع أيضاً شهيد الأمّة وشاهدها: ج١، ص٢٢٨.

(٢) مقتبس بتصرفٍ، وبشكلٍ متفرّق من كتاب حياة الحسين بن علي (عليه السلام) دراسة وتحليل للعلّامة باقر شريف القرشي رحمه الله.

(٣) العقاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين بن علي، ص ١١٢.

وحياة ذويهم، ولكنَّهم يمدُّون دعوتهم بأسباب البقاء، فتظفر بنهاية المطاف بكلّ شيء. فصحيحٌ أنَّ يزيد قد انتصر ظاهراً في معركة كربلاء وقتل الحسين، إلَّا أنَّ دعوة الأخير ظلَّت باقيةً، وقام عليها ملك العباسيين، ومن بعدهم، واستند عليها ملك الأيوبيين، والمماليك بشكل أو بآخر وصولاً إلى عهد العثمانيين[1] .. فالشهادة حسب تعبير العقاد إن كان خصماً ضعيفاً في اليوم والأسبوع والعام، إلَّا أنَّها أقوى الخصوم الغالبين في الجيل والقرون ومدى الأيام، في هذا الإطار لم يكن الحسين بن علي الشهيد ابن الشهيد رجلاً طالباً للحكم، وإنَّما كان رمزاً لصراعٍ من أجل الحقّ، والثبات على المبدأ رغم الخيانة، ولم يكن رمزاً ومثالاً للمسلمين فحسب، بل كان الحسين رمزاً للتاريخ الإنساني برمَّته[2].

واليوم في ظلّ الصراع المحتدم مع الاستكبار بكلّ أشكاله وربيبته الصهيونية وأدواتها في المنطقة، حري أن يثير الفكر الكربلائي فينا موجة لا تتوقف من القلق الدائم، والانفعالات العميقة، تدفعنا كمسلمين وأحرار، وكفلسطينيين ومقاومين إلى تطوير عملنا السياسي المقاوم، وتنظيم تكتلاتنا الاجتماعية للإطاحة بمشروع بني صهيون، واجتثاث هذه الغدّة السرطانية التي ملئت الأرض فساداً وفتناً وإرهاباً.."".

ثورة تلِد أخرى

لقد حصلت جملة من الثورات بعد النهضة الحسينية، كانت كربلاء الحسين (عليه السلام) نورها الهادي في الثورة، والخروج على الطواغيت، ومنها:

---

(١) العقاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين بن علي، ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٤.

ثورةُ أهل المدينة

الثورة التي خرج فيها الصحابة وأبناء الصحابة (رضي الله عنهم) في المدينة على يزيد بن معاوية وخلعوه بعد السنة التي قُتل فيها الحسين (عليه السلام)، وقد بيّن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، علّة هذا الخروج بقوله: (والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنَّه رجل ينكح أمهات الأولاد، والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة)[١].

وقد أعدَّ لهم يزيد جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة الذي دخل المدينة واستباحها لمدة ثلاثة أيام، وانتهك الأعراض حتّى قيل إنَّه أفتضت فيها ألف عذراء! وقد قُتل في هذه الواقعة خلقٌ كثيرٌ من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مهاجرين وأنصار .. وأربعة آلافٍ من سائر الناس وغيرهم..، وبضع وتسعون من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف..[٢].

ثورة التوابين

تفجرَّت هذه الثورة سنة ٦٥ هـ،.. وقد رفع ثوارها شعار (يا لثارات الحسين)، وقاتلوا الجيش الأموي بعين الوردة[٣]، حتّى استشهدوا، وكان قائدهم الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي[٤].

---

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ص١٩٣؛ القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٣، ص٣٣؛ الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، الذهبي، ج٥، ص٢٧.

(٢) انظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، ج٣، ص ٧٩.

(٣) تقع رأس العين بين حرّان ونصيبين.

(٤) انظر: بيضون، إبراهيم، التوابين، ابن الأثير، علي بن إبراهيم، أسد الغابة، ج٢، ص٣٥١؛ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٤، ص٤٦٥.

ثورة المختار

وهي الثورة التي قام بها المختار بن عبيد الله الثقفي في الكوفة كانت سنة ٦٦هـ ، فقام بقتل قتلة الحسين (عليه السلام)، سيطرت على العراق نحو سنتين.

ثورة زيد بن علي

وهي الثورة التي قام بها زيد بن علي زين العابدين السجاد (عليه السلام) في الكوفة سنة ١٢١هـ، ضد هشام بن عبد الملك حيث بلغ تردّي الأوضاع وانتشار الظلم والفساد، والفقر وبذخ الحكام مبلغاً لا يطاق، ممّا حدا بزيد الشهيد للقيام بثورته المباركة.

وهناك حركاتٌ وثورات أخر كثيرة لا يمكن الإحاطة بها هنا، وقد كتبت مصنفات متخصّصة حولها من قبيل كتاب (مقاتل الطالبيين) الذي وثّق ثورة الحسين صاحب فخ، وثورة ابني عبد الله بن الحسن وغيرهم[1] .

وسوف يبقى دم حفيد محمَّد عليهما السلام، المحرك للأحرار والمجاهدين، والشاهد على سلامة وشرعية نهج الرفض والمقاومة، والجهاد الثوريّ المتحرك في نطاق التضحية حتّى الاستشهاد إلى يوم الدين.

(١) كتاب مقاتل الطالبيين "لأبي فرج الأصفهاني" كنز من كنوز الأدب، والتاريخ ترجم فيه أبو الفرج للشهداء من ذرية أبي طالب منذ عصر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الوقت الذي شرع يؤلف فيه كتابه، وهو جمادى الأوّل سنة ٣١٣هـ، سواء أكان المترجم له قتيل الحرب، أو صريع الحرب، أو صريع السم في السلم، وسواء أكان مهلكه في السجن، أم في مهربه أثناء تواريه من الحكام. وقد رتّب مقاتلهم في السياق الزمني، ولم يرتبها على حسب أقدارهم في الفضل، ومنازلهم في المجد.

وكما نجح الإمام الحسين (عليه السلام) في ذلـك كلّـه، فـسوف تـنجح المقاومة الفلسطينية من بعـث الحيـاة مـن جديـد في أوصـال جمـاهير العـرب والمسلمين، وقد لاحت في الأفق بوادر ذلـك، وسـوف ينهـار سـدُّ الغـضب؛ ليجرف كلَّ أشكال الظلم والاستبداد والاستكبار، فقد صدمت الانتفاضات الفلسطينية، الضمير الشعبي العالمي ويوميات المقاومة في فلسطين- إن كان في غزة أو القدس، أو الضفة الغربية أو منـاطق الـداخل المحتـل عـام (٤٨م)- تصدم كلّ يوم الواقـع العـربي المهـزوم روحيـاً، وأخلاقيـاً وسياسـياً، وتنـذر بتحطيمه كلياً، وعلى قيـادات المقاومـة الإسـلامية في فلـسطين وخارجهـا أن تعمل بكلّ جديّة للإبقاء على جذوة المقاومة في الـشارع الفلـسطيني والعـربي والإسلامي المستمدَّة من حيوية خطِّ الإيمان والإسلام مستمرةً فاعلـةً، ونفـخ روح الشهادة والاستشهاد في قلوب الأجيال التـي تتطلـع إلى الحـقّ والعـدل والحريّـة، وتوظيفهـا بكـلِّ قـوةٍ وحكمـةٍ؛ للـضغط عـلى الواقـع الرسـمي الاستسلامي؛ لفكّ الارتباط بالاستكبار العالمي، وتحقيـق الإرادة الـشعبية في تقرير المصير، ومنع الأجانب من التدخل في شؤون البلدان الإسلامية، وكسر شوكة الباطل والظلم والاستبداد المتغطرس في أوطانهم.

سيف القدس نقطة تحوّلٍ

لقد كانت صرخة الإمام الحسين إحياءً للإسلام، وتضحيةً واعيةً؛ لوضع حدّ لاستهتار الطغاة، وهكذا اليوم صرخة القدس التي أنجبت سيف القدس البتّار[1]،

---

(١) معركة سيف القدس بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الصهيوني، كانت شرارتها اعتداءات الشرطة والمستوطنين الصهاينة في القدس المحتلة، بدأت بتوترٍ بين متظاهرين فلسطينيين وقوات الاحتلال في ٦ أيار ٢٠٢١م، نتيجة قرار المحكمة الصهيونية العليا بشأن إخلاء عائلاتٍ فلسطينيةٍ من منازلها في حي الشيخ جراح من البلدة القديمة لإسكان مستوطنين صهاينة تفجرت الأحداث مساء الجمعة الأخيرة (يوم القدس) ٢٥ رمضان ١٤٤٢، بعدما اقتحم آلاف من جنود الشرطة -في عمليةٍ استفزازيةٍ- باحات المسجد الأقصى، ما أسفر عن إصابة مئات المدنيين الفلسطينيين، تجدَّدت المواجهات يوم الاثنين ١٠ أيار، الموافق ٢٨ رمضان، بعد اقتحام آلاف من أفراد الشرطة المسجد الأقصى أسفر عن إصابة المئات أيضاً بينهم مسعفون وصحفيون بحالات خطرة للغاية في المسجد ومحيط البلدة القديمة، ليست (سيف القدس) معركةٍ عاديةٍ، بل هي أشبه بنقطة تحوّل دراماتيكي في مسار المقاومة الفلسطينية، في ١٠ أيار٢٠٢١، وفي تمام الساعة ٤٠ : ٤ عصراً، مَنح الناطق الرسمي باسم (كتائب القسام)، الجناح العسكري لحركة (حماس) أبو عبيدة العدو الإسرائيلي، «مهلةً حتّى الساعة السادسة لسحب جنوده ومغتصبيه من المسجد الأقصى، وحيّ الشيخ جراح والإفراج عن كلّ المعتقلين خلال هَبّة القدس الأخيرة، وإلّا فقد أعذر من أنذر. عقب هذا التهديد، وبحسب جريدة الأخبار اللبنانية تواصَلت قيادة المقاومة في لبنان مع قيادة المقاومة الفلسطينية، أَبلغت المقاومة الفلسطينية الإخوة في

لبنان بأنَّ التقدير هو أنَّ رئيس حكومة العدو السابق بنيامين نتنياهو لن يلغي مسيرة المستوطنين المزمعة في القدس، وأنَّ المقاومة ستنفّذ تهديدها بقصف العمق الإسرائيلي، في تلك الجلسة وَضعت القيادتان خطَّين أحمرَين يُمنع تجاوزهما ويستدعيان تدخُّل محور المقاومة:

الأوَّل: أن تستمرّ المعركة لما يقارب ٥٠ يوماً كما جرى خلال حرب ٢٠١٤.

والثاني استهداف المخزون الصاروخي للمقاومة الفلسطينية واضطرارها لـ(الاقتصاد) في عملية إطلاق الصواريخ تجاه كيان العدو، في تمام الساعة السادسة من مساء يوم الاثنين المذكور، أَطلقت (كتائب القسّام) افتتاحية ٦ صواريخ باتجاه القدس المحتلة لتبدأ معها معركة (سيف القدس)، ومع بدء المعركة رفعت المقاومة في لبنان درجة استنفارها الذي كانت بدأته مسبقاً تحسّباً لأيّ غدرٍ إسرائيلي، وبقي استنفار الوحدات الصاروخية في (حزب الله) مستمرّاً خلال المعركة، تحرّكت الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة من خلال تظاهراتٍ على الشريط الحدودي، وإطلاق عدد من الصواريخ باتّجاه الأراضي المحتلة، سقط أغلبها في البحر وداخل الأراضي اللبنانية، وفي أراضٍ مفتوحة في فلسطين، فيما جرى اعتراض واحد بالقرب من مدينة حيفا. كما أُطلقت صواريخ من سوريا وطائرة مُسيّرة (لم يستطع العدو تحديد مكان إطلاقها إن كانت من سوريا أو العراق)، وذلك بالتزامن مع المعركة الدائرة في جنوب فلسطين، هذا المشهد كان مُخطَّطاً له، ويمكن اعتباره مناورة لحرب تتوحّد فيها الجبهات، ولِما سيعيشه العدو في «حرب التحرير الكبرى»، وكلّ ما جرى في هذه المعركة من تنسيق بين فصائل محور المقاومة كان جزءاً من المناورة لمعركة إزالة إسرائيل. في أيّ معركةٍ مقبلةٍ، يُدرك العدو أنَّه لن يواجه غزة فقط، بل سيضطرّ لمواجهة غزة ولبنان وسوريا والعراق واليمن أيضاً، فخلال العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة تواصَلت حركة «أنصار الله» اليمنية مع «حماس»، وطلبت إحداثيات لمواقع تريد استهدافها بالصواريخ والطائرات المُسيّرة، لكن «حماس» أبلغت قيادة صنعاء أنَّ الوضع الميداني والعسكري في القطاع جيّد جدّاً، وفي حال تجاوُز العدو أيّاً من الخطوط الحمراء المتّفق عليها مع محور المقاومة، يُمكن لـ(أنصار الله) عندئذٍ تنفيذ

وتلبية واعية[١] المقاومة الفلسطينية، هو إحياء للإسلام وإنقاذ للمستضعفين، فالقدس قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين، وهي أمانة في أعناق المسلمين، فالواجب الديني والأخلاقي يقضي بالعمل الدؤوب الفاعل لتحريرها من براثن الصهيونية الغاصبة، ولا يجوز للمسلمين السكوت على احتلال فلسطين، وما يجري فيها من الظلم للشعب الفلسطيني على أيدي الصهاينة والاستكبار العالمي بقيادة أمريكا، فمادامت مقدسات الإسلام تتعرض للتهديد والانتهاك، فهل يعقل أن يستمر المسلمون مكتوفي الأيدي لا يفعلون شيئاً؟! فالمطلوب من المجاهدين أن يكيلوا الضربات العسكرية، والسياسية والثقافية الموجعة للكيان الصهيوني الغاصب ولحماته من قوى الاستكبار العالمي من أجل تحرير فلسطين، وإفشال كل مخططات الصهاينة في التهويد والتطبيع.

تمايز بين معسكرين

الأوَّل: معسكر المقاومة والمجاهدين الصادقين في مبادئهم ومواقفهم، الصابرين على البلاء من أبناء الإسلام البررة، والشعوب المستضعفة ومؤيديهم ومناصريهم.

الثاني: معسكر المنافقين الراكنين إلى الدنيا، الباحثين عن المكاسب

ضربتها، تشابُك المحور، ومنع الاستفراد بأيّ طرف فيه، معادلة جديدة رسّختها قوى المقاومة في المعركة الأخيرة، وواقعٌ أدركته الولايات المتحدة الأميركية التي حذّرت العدو على لسان رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة، الجنرال مارك ميلي: من مخاطر زعزعة الاستقرار على نطاقٍ واسعٍ يتجاوز قطاع غزة إذا لم يتمّ خفض التصعيد بين إسرائيل والفلسطينيين.

(١) الواعية: هو الصوتُ المشتمل على مثل الاستنصار وطلب المؤازرة.

والامتيازات على حساب المصالح والحقوق العامة والمكتسبات المشروعة للشعوب، كتلك الأنظمة وأبواقها الداعية إلى التنازل للكيان الصهيوني، المرتمية في أحضان أمريكا الداعم الأكبر للكيان وحاميه من الغضب الشعبي وسلطة القانون الدولي.. تلك الأطراف التي عاشت ولا تزال المساومات والتسويات، وتقديم التنازلات بعيداً عن طموحات الشعوب وحقوقها التي ضحَّت من أجلها بمئات الآلاف من الشهداء.

وقد عاشت تلك الأطراف ولازالت تعيش مع قضية القدس، وقضايا الشعوب المستضعفة، ومع قضية الإمام الحسين (عليه السلام) على مستوى الخطابات والشعارات، والسعي لتغيير الرأي العام للمستضعفين بمغالطاتٍ لفظيةٍ، وبالإثارة اللَّاهثة وراء السراب في المعادلات السياسية لتبرير الضعف والتهاون واللامبالاة، وحبُّ المال والجاه والمناصب، والدنيا وزينتها وزخارفها.. على حساب الآخرة والحقّ والعدل، ولتبرير التراجعات السياسية الدنيئة، ولتبرير الارتماء في أحضان المحتل وأعوانه، والتوقيع على القبول بالأمر الواقع المخزي، وتدوير حركة الشعوب وتضحياتها في الفراغ غير المنتج لتوحي لنا تلك الأطراف بأنَّ علينا أن نتفهم الظروف، وأن نستفيد من فرصة الفتات الذي لن يتكرر! وقد أثبتت التجارب التاريخية والمعاصرة بأنَّه لا خلاص من الاستبداد والاستكبار، لا سيما الصهاينة إلَّا بالمقاومة والجهاد والتضحية، ويجب على كافة الأحرار تقديم الدعم والمساندة للشعب الفلسطيني المظلوم[1].

---

(١) كما تفعل الجمهورية الإسلامية في إيران التي هي الصديق الأوفى لفلسطين ومقاومتها منذ انفجار النور وانتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م بقيادة العالم الرباني والعارف الإلهي السيد الخميني رحمه الله.

يوم عاشوراء ويوم القدس

ومن هنا فـإنَّ يـوم عاشـوراء الحـسين (عليـه الـسلام) ويـوم القـدس العالمي[1]، هما يومان للفصل بين الحـقِّ والباطـل، والعـدل والظلـم، والخـير

(١) راقبوا ليالي القدر كلَّ عامٍ، الساحات المنتفضة في فلسطين، وتلك الداعمـة في إيـران لوحدها تقام مسيرات يوم القدس في ١٠٠٠ مدينة ونقطة حول كامل الـبلاد؛ تأييـداً لإرادة الشعب الفلسطيني في المقاومة، والعودة فلسفة هذا اليوم الذي أطلقـه الإمـام الراحـل الخمينـي، أن تجتمـع الأمّـة الإسـلامية وأحـرار العـالم؛ لمنـاصرة الـشعب الفلسطيني من خلال المسيرات الحاشدة في آخر جمعـة مـن شـهر رمـضان، والهـدف إيصال رسالة للعدو، والعالم أن فلسطين هي للفلسطينيين وحدهم، وأنَّها أمّ القضايا، ورمزية يوم القدس تعني: أنَّ المسلمين في ليلة القدر يسعون للتخلص مـن العبوديـة لغير الله، ما يعني التخلّص من قيـود الأسر والعبوديّـة لأمريكـا، وإسرائيـل وقـوى الاستكبار، وعلى أعتاب هذا اليوم تتجدَّد ذكرى شـهادة عـلي بـن أبي طالـب أعظـم إنسان واجه جبروت أسـلاف الـصهاينة في خيـبر، وواجههـم وأهـل بيتـه (علـيهم السلام) فيما بعد وهـم يـسعون في تحريـف الإسـلام، ورسـالات الـسماء بدسائـسهم وإسرائيلياتهم. مخجلٌ أنَّ شقيقتَي القدس مكة المكرّمة، والمدينة المنورة المختطفتين من أعوان أمريكا لصالح سياسات إسرائيل، وبث الفرقة بين المسلمين لا تكونان في هذا اليوم نصيرتين للمقدسات، ولا لشعب فلسطين المظلوم، ولـن تكترثـا لكـل قوافـل الشهداء من شبابنا الذين أزهقت الآلة الإسرائيلية أرواحهم بغطاء ينـدى لـه الجبـين من أنظمة العمالة والخيانة، يلازمها صمت مريب من (شـيوخ الـضلالة) المسارعين بإشعال النيران في حروب الأمة الداخلية وفتنهـا، بيـنما التبريـر عـلى أشـده لتـسويغ

والشّر ويوما مواجهة بين المستضعفين والمستكبرين، وهما اليومان اللذان يثبت فيهما المسلمون والمستضعفون، وجودهم بوجه الطواغيت والفراعنة وقوى الاستكبار العالمي، ويطالبون بحقوقهم العادلة، وهما يوما التحذير للذين يعملون من أمام الستار ومن خلفه ضدَّ مصالح الشعوب وحقوقها، التحذير لهم من خزي التاريخ وعذاب الآخرة، وتذكيرهم بلغة الأرقام، والشواهد الحيَّة المعاصرة والتاريخيّة: بأنَّ أيام الاستكبار والاستعباد قد ولَّت إلى غير رجعةٍ، وأنَّ حبل أطماعهم قد انقطع، وأنَّ عليهم أن ينتظروا الأسوأ ما لم يعودوا إلى رشدهم، وينصفوا الناس من أنفسهم[1].

نحو شباب فلسطينيٍ حسينيٍ ثائر

تعالوا بنا كشبابٍ فلسطيني تملَّكنا اليأس، بسبب سياسات الرسميين المنبطحة، أو بسبب الأخطاء الفصائلية، كي ننحّي اليأس ونستلهم من أبي الأحرار الحسين (عليه السلام) عندما واجه حشود الظلام، وتمكَّن من صنع المجد على مرِّ الزمن بثبات الموقف ووضوح الرؤيا، والاستعداد المستمر للتضحية، هيا بنا ندقِّق في التاريخ: ثورة حفيد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) العملاقة جاءت امتداداً لبزوغ فجر الإسلام الخالد، وانتشاره بما يمثل من قيم بين بني الإنسان؛ لتشكّل إضافةً ضروريةً في إعادة الأمور قدر الممكن إلى

الاستسلام لإسرائيل وإقامة العلاقات معها، وتصوير أن العدو موجود في اليمن وإيران، ولم يعد يخجل مسؤولو أنظمة خليجية من التصريح بأنَّ لإسرائيل حقَّ الرد والاعتداء على الأراضي العربية.

(١) بعض المحتوى استفدته من مقالة للأخ عبد الوهاب حسين تحت عنوان (الحسين ألم ونور) نشرت على موقع الأبدال نت في ٢٥ أيار، ٢٠٢١.

جادة الصواب(١)، ولا شكّ أنّ ذلك يمثّل درساً عظيماً للبشرية، كما يجب على الشباب المناضل بوجهٍ خاصٍّ استثمار هذه الدروس، واستلهام المبادئ الحسينية كالإيمان، والسعي نحو الأهداف الجليلة بلا تردُّدٍ، أو توقُّف مهما كانت المصاعب والعوائق، كربلاء التفاني والجهاد والتضحية ينبغي أن تكون مشعلاً مضيئاً يحمله الشباب الفلسطيني الثائر عالياً؛ لكي يستضيئوا به وهم في طريقهم إلى صنع الحياة الحرة بعيداً عن الاحتلال الغريب عديم الجذور وبعيداً عن الظلم، والقهر والامتهان(٢).

الشباب الفلسطيني الثائر المجاهد مطالبٌ بقراءةٍ متجدّدةٍ للملحمة

---

(١) قال الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): " أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً ولَا بَطِراً ولَا مُفْسِداً ولَا ظَالِماً، وإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي (صلّى الله عليه وآله)، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، ومَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ "، هذه الأهداف المعلنة من قِبل الإمام الحسين (عليه السلام) تحققت تماماً، فالإسلام باقٍ والأذان باقٍ والصلاة باقية، وذكر النبي (صلّى الله عليه وآله) وعترته باقٍ، وفي المقابل لم يبق لبني أمية أي ذكر، إلَّا اللعنة والتاريخ السيئ المظلم. وقد روت بعض المصادر الحديثية عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: " لَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وقَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ، اسْتَقْبَلَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وقَالَ: يَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، مَنْ غَلَبَ - وهُوَ يُغَطِّي رَأْسَهُ وهُوَ فِي الْمَحْمِلِ-؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ غَلَبَ وَدَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذِّنْ ثُمَّ أَقِمْ "، أي أنّه ما دام الأذان والإقامة والصلاة موجودٌ فالإسلام هو الغالب والمنتصر.

الحسينية، ولابدَّ من استلهام الدروس؛ لتجديد الرؤية الثورية، وضخِّ الحماس في عروق المجاهدين، بل وتحسين الواقع التعبوي بأكمله، وعندما نؤكِّد على أهميّة استخلاص الشباب الفلسطيني للدروس الخلّاقة من الفكر الحسيني، فإنَّ الهدف أولاً وأخيراً هو انتشال الشباب والمجتمع كلّه من حالة الاستسلام لقوى الشّر مهما كان مصدرها، ذلك أنَّ المطلوب هو أن يأخذ الشباب حقَّهم في الحياة الحرّة، وأن يتمسّكوا بمبادئ الحسين (عليه السلام) ويعملوا بها، فهي كفيلةٌ بأن تجبر الاحتلال وأدواته على الانكفاء والهروب.

الحسينيون الفلسطينيون اليوم هم الذين يقاومون وينتصرون ويستشهدون بكلّ الوسائل من استعمالهم الصاروخ إلى مكابح السيارات والسكين، وهذا ما يحدث بالفعل مع مقاومينا من كلّ الفصائل المناضلة، إنَّهم الشباب الحسيني الذي لا يتنازل عن حقوقه، ولا يتراجع أمام الظلم، ويتَّخذ دائماً من مبادئ الفكر الحسيني حافزاً عظيماً؛ لتجديد الرؤية الفكرية والعملية للتعاطي مع صنع الحياة الحرّة الكريمة التي يستحقّها شعبنا الأبي المجاهد.

ويتجسَّد السلوك الحسيني بأنَّ يظهر الفلسطينيون وعلى رأسهم شبابنا المقاوم للمحتل البغيض وأعوانه الاستعداد الدائم للتضحية، وأن يتَّخذوا من إيمانهم بإسلامهم المحمديّ ومنه النهج الحسيني التضحويّ[1] بعيداً عن الرؤى المذهبية نقطة انطلاق نحو تجديد رؤيتهم، وتغيير سلوكهم تجاه ما

---

(١) وهو تمسّك بما رواه الترمذي (٣٧٧٥) وابن ماجه (١٤٤) وأحمد (١٧١١١) عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ) والحديث حسّنه الترمذي والألباني.

يستجد في حياتهم وواقعهم، فلقد أتاح الحسين الشهيد (عليه السلام) لنا جميعاً أن نتبصّر أفعالنا وأفكارنا، ونفرز أهدافنا ونمحصها بصورةٍ متأنيةٍ وصحيحة، ثمَّ نقارنها بالأهداف المطلوبة، وقدرتها الخلّاقة على تجديد رؤيتنا للقضية والواقع، والانطلاق نحو كفاحٍ أكثر جدوى، مع أهميّة أنّ تبادر الفصائل المجاهدة وخاصَّةً حركة حماس المتبنيّة للإسلام مرجعية، منطلقين بمواقفهم هذه من الذكرى السنوية للملحمة الحسينية، وما تقدّمه لنا من دروس خالدة[1].

وإنَّني مؤمن أنَّ عاشوراء والملحمة الحسينية المباركة لهذا الحفيد العظيم لنبيّ الإسلام (صلّى الله عليه وآله) في جوهرها جهد الشباب، وهدفها الشباب، وإن راجعتم التاريخ سترون أدوار أبناء وبنات الرسالة الهاشميين كأبي الفضل العباس وعلي الأكبر، وبقية الأصحاب (عليهم السلام ورضي الله عنهم وأرضاهم).

لقد كان الشباب وفقاً لما تُشير إليه المصادر التاريخيّة عن أعمار الثوّار والأنصار الذين استُشهدوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء هم الفئة الغالبة، فمنهم مَن كان في مُقتبل شبابه كالقاسم بن الحسن، ومنهم مَن كان في ريعان شبابه كعليّ الأكبر، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وعبد الله وعبيد الله ابني يزيد بن نبيط، وهم من عبد القيس، خرجوا من البصرة إلى

(١) أنصح في هذا الصدد بقراءة كتاب (أبناء الرسول في كربلاء) للمفكر والأديب المصري خالد محمد خالد، وهو نفسه مؤلّف كتاب (رجال حول الرسول)، كما ألّف عدة كتب تتحدث عن السيرة النبوية، وأعلام الصحابة، وهو خريجٌ أزهريٌ، وأيضاً كتاب أبو الشهداء لعباس العقاد، والملحمة الحسينية للشهيد مطهري.

كربلاء؛ لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام)[1].

نعم، كان لهم الدور المهم والمؤثّر في معركة كربلاء، فقد أبلوا فيها بلاءً حسناً، وجاهدوا جهاد الأبطال، ونازلوا الأعداء ببسالةٍ وشجاعةٍ عَزّ نظيرها.

من هنا وبالاستثمار الصحيح للفكر الحسينيّ المحمديّ، فإنَّ عاشوراء الملحمة الخالدة تبني هويةً ثوريةً للناشئة، وتحقّق له الشعور بالانتماء إلى تاريخٍ لا نظير له في التضحية، من خلال تلك النماذج التي سوف يتفاعل معها بمشاعره وأفكاره، فالنموذج هو الذي يصبح المرجع للأجيال في تشكيل شخصياتهم ومن ثمَّ بناء مجتمعاتهم، وقد يتذَّرع البعض بأنَّ ذلك تشيُّع وطائفية، وهذا من أعجب الأقوال وأغربها!

فهل الاقتداء بحفيد رسول الله انتماءٌ إلى طائفةٍ، أو مذهب؟!

أليس المسلمون وكلُّ من يدَّعي أنَّه أوثق عروةً، وأقرب إلى فهم الإسلام هو أولى بالحسين (عليه السلام)؟

أليس شبه الإجماع قائماً على أنَّ ما فعله الإمام الحسين (عليه السلام) ليس إلَّا اكمالٌ لمشروع جدِّه؟ وأنَّه أعظم تضحيةً في الإسلام؟ إذا استثنيا أقوال متطرفي السلفية والتكفيريين الطارئين على الإسلام، ولا أشكُّ -كما جربت ذلك بنفسي- فالقضية الحسينية يعطي فهمها والإلمام الواعي بها للشباب قوَّة الاستقامة والسلوك السوي..

---

(١)أبو عمرو، خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة العصفري (ت٢٤٠هـ ـ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خيّاط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.

هيهات منا الذلة شعار الفلسطينيين

إنَّ نهضة سيدنا الحسين (عليه السلام) هي نهضةٌ في مواجهة الإذلال الذي مارسه يزيد بن معاوية، فالطغاة لكي يحكموا الناس يسلبون كرامتهم وعقولهم وقدراتهم على التفكير، والقدرة على فهم مسؤولياتهم بالحياة، فيزيد أراد أن يذلَّ آل بيت الرسول (صلّى الله عليه وآله) وعلى رأسهم عميدهم الحسين (عليه السلام)، لكنَّ الإمام لا يمكن أن يُذَلَّ، بل هو نموذجٌ ومثالٌ عظيم للكرامة الإنسانية، وفي هذا الصدد ينقل عنه روحي فداه:

(..أَلَا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركّز بين اثنتين، بين السلة والذّلة، وهيهات منا الذّلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، حجور طابت طهرت، أُنوف حميّة ونفوس أبية من أن نؤثّر طاعة اللئام على مصارع الكرام، أَلَا قد أعذرت وأنذرت، أَلا وإنـّي زاحف بهذه الأُسرة مع قلَّة العدد، وكثرة العدو، وخذلان الناصر، وخذلة الأصحاب..)[1].

وها هو الشعب الفلسطينيّ والمقاومة الفلسطينية، رغم اجتماع القريب

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج٢، ص٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٩، ح٣٥٤٣؛ بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٥٨٨.

معنى السلّة: مواجهة السيف والقتل، والذلّة: الإذلال والخضوع لحكم يزيد؛ لذلك قال الحسين موضحاً خياره: (وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثّر طاعة اللئام على مصارع الكرام) يعني أنَّ الحسين لا يمكن أن يقبل بالإذلال، وأنَّه يؤثر القتال ومواجهة الظالمين والشهادة في سبيل الله على أن يقبل بالذلة والسلامة تحت ظل اللئام.

والبعيد على محاربتهم، لكنَّهم يجسّدون هذا الشعار (هيهات منّا الذلة) بأبهى صوره، وقد تلاقت التيارات الإسلامية وغيرها على هذا الهدف رغم ظلم ذوي القربى كتيار أوسلو الخائن الذي نكّل بأهل المقاومة، وأثخن فيهم الجراح بإشارات من الموساد الصهيوني، وتعرف ذلك من التنسيق الأمني المنحط مع الصهاينة مقابل فتات سلطة لا تدير أكثر من الكهرباء والماء، ويا ليتها نجحت في ذلك!

الحسين (عليه السلام) أبا الأحرار القدوة والمثل للمقاومة الفلسطينية

فليكن الحسين المحمديّ العلوي ابن الزهراء عليهم جميعاً أزكى السلام النموذج والمثل الكبير الذي يقتدي به أبناء المقاومة الفلسطينية، علمانييها قبل إسلامييها، فهو أبو الأحرار جميعاً، ويمثّل القمّة في مواجهة الذلة، وقد استشهد (عليه السلام) في مواجهة الإذلال، فهو النموذج الكبير لنا في عملية بناء الكرامة الإنسانية وعدم القبول بالذُّل.

لقد وصف يزيد بقوله: (الدعي ابن الدعي)، أي: أنَّه ليس لديه شرعيةٌ، ولا يمكن القبول بحاكمٍ ليس لديه شرعيةٌ، وإذا قبلت بحاكم ليس لديه شرعيةٌ، فمعنى ذلك أنَّك قبلت بالذُّل؛ لأنَّ القبول يعني الخضوع والخنوع، ولا يمكن للإنسان الكريم القبول بأن يكون تابعاً للأدعياء وهكذا الاحتلال الغاصب، فقد بُنيت دولته على جماجم السكان الأصليين لفلسطين، واكتسب شرعيةً من عجوز الشياطين المستعمرين بريطانيا التي أعطت ما لا تملك لمن لا يستحق، لكن للأسف يوجد كثير من الناس يسقطون أمام الحاكم الظالم، ويتقبلون كونهم من أعوان الظلمة، ففي بعض الأحيان يحتقر الإنسان

ذاته، ويفتقر للشعور بالكرامة والعّزة، لـذلك يستـسلم ويـبرّر ذلـك بـالقول (أريد أن أعيش، فإذا أواجه هذا الظـالم معنـى ذلـك لا اسـتطيع أن أعـيش). وعلى هذا الخط الاستسلامي سار النظـام الرسـمي العـربي، ومـؤخراً أنظمـة القبائل المتهوّدة في ممالك الرمال من دول الخليج للأسف.

كذلك يجب على المقاوم الحسيني أن لا يخضع لمنطق القوَّة، أي: (يخـاف السلة) هذا يعنـي أنَّـك تتنـازل عـن مبادئـك في مقابـل الخـوف مـن هـؤلاء المجرمين المنحرفين، لكن على الإنسان أن لا يخاف ولا يقبل بالذُّل، (يـأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون)، وهذا هـو النظـام العـام عـدم القبـول بالذّلـة، فالنظام الكونيّ كلُّه والنظام الاجتماعيّ الصحيح يحتاج إلى قيادةٍ صالحةٍ تحـترم كرامة الإنسان، وتناضل من أجل حمايتها.

(أنوف حمية ونفوس أبية)

إنَّ الإنسان اليوم يمشي مطأطأ الرأس في الوقـت الـذي يجـب عليـه أن يمشي مرفوع الرأس ويشعر بكرامته في المجتمع، إنَّه يشعر بالذل؛ لأنَّه يعـيش في ظلّ حاكم مثل يزيد، أو في ظلّ حـاكمٍ فاسـدٍ فـاجرٍ لـيس عنـده أي قيمـةٍ أخلاقيةٍ وإنسانيةٍ، في ظلّ مثل هذا الحاكم، لا يمكن للإنسان أن يرفع رأسـه؛ لأنَّه يعيش في مجتمعٍ تشرَّب بالذُّل، وما أشبه اليوم بالبارحة، ألـيس هـذا هـو حال اليزيدية الصهيونية الوحشية المعاصرة وحلفائها؟ لكـنَّ الإمـام الحـسين (عليه السلام) يريد أن يكون الإنسان مرفوع الـرأس، عزيـزاً كـريماً، فيقـول: (من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكـرام)، أيـن الكـريم مـن اللئـيم؟ لا يوجد قياسٌ بينهما، فالإنسان كتلةٌ من المثل والقيم التي كّرمه الله سبحانه بهـا،

لكن هذه القيم تُنزَع عنه في ظلّ الحاكم اللئيم، والمحتل البغيض.

وقد عبَّر (عليه السلام) عن رفضه لاستلاب الكرامة، وفرض الذُّل بقوله: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقرّ لكم إقرار العبيد)[1]، فالعبودية في ظل اللئام تعني: البؤس والشقاء وهيمنة التخلف في مجتمع مستعبد.

دور ثقافة المقاومة الحسينيّة في بناء الكرامة

إحياء النهضة الحسينية على الصعيد الثوريّ المقاوم معناه أن يتفاعل المقاوم المجاهد مع كربلاء، وهذا التفاعل الوجداني يجعله يتربّى على معنى الكرامة، فيتضاعف لديه إحساس البطولة والفداء، ويتنامى عنده شعور بوجوده وانتمائه لأمّته ودينه وحقّه المغتصب، ويستثمر هذا الانتماء من أجل بناء العزّة، والوصول إلى لحظة الانتصار والتحرير.

الثقافة الحسينية الجهادية عمليةٌ تربويةٌ مستمرةٌ، هي تفاعلٌ عميقٌ مع واقع إسلاميٍّ بحت يخصُّ نبيَّ الإسلام (عليه أفضل الصلاة والسلام) مباشرة، والإنسان الذي يعيش مع هذه الواقعة، ويفهم فلسفة مواجهة

---

(١) في العاشر من محرم سنة ٦١ للهجرة وفي صبيحة يوم عاشوراء ألقى الحسين (عليه السلام) خطبة أولى بجيش عمر بن سعد أكَّد فيها بعد أن أمعن في النصح والموعظة قائلاً: لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، وأتبعها بخطبةٍ ثانيةٍ؛ لإتمام الحجّة أكَّد فيها (.. ألَا وإنّ الدّعيّ بن الدعيّ قد ركز بين اثنتَين؛ بين السّلة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة"..الخ) راجع أيضاً: القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٣، ص٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص١٩٤، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: الطبري، ج ٤، ص٣٢٣.

الحسين (عليه السلام) لقضية الذل وتحقيق الكرامة سوف يتفاعل معها تفاعلاً شديداً، ومن ثمَّ تنغرس في عقله ووعيه وتنظّم سلوكه، وينشأ على العيش بكرامة ورفض الذل، ولن يكون بعدها لقمةً سائغةً لأمثال شذاذ الآفاق الصهاينة ولا غيرهم.

وليس في تاريخ هذه الدنيا ثورةً هزَّت العالم ومجدَّتِ الحقَّ، مثل ثورة الإمام الحسين، فجميع فصولها نور، وقد أحرز حفيد محمَّد (عليهما السلام) بشهادته النصر الذي لم يحرزه أيُّ ثائرٍ في الأرض، منذ أن أخذ على عاتقه مصير القيم الإلهية ورسالة الإسلام. يقول الفيلسوف الألماني ماريين[1]: "..لا يشكُّ صاحب الوجدان إذا دقَّق النظر في أوضاع ذلك العصر، وكيفية نجاح بني أمية في مقاصدهم، واستيلائهم على جميع طبقات الناس وتزلزل المسلمين.. إنَّ الحسين قد أحيا بقتله دين جده وقوانين الإسلام، ولو لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين... ولولا قتل الحسين لم يكن الإسلام على ما هو عليه قطعاً، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذٍ حديث العهد" ويكفي الحسين ربحاً في شهادته أنَّه أحيا الإسلام وفداه بدمه.." وقد ألمح إلى ذلك سيدنا زين العابدين السّجاد حينما سأله إبراهيم بن طلحة بن عبد اللهّ فقال له: مَن الغالب؟ فأجاب: (**إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب**).

لقد كان الحسين هو المنتصر فقد أعاد للإسلام حياته، فكان هو المجدّد ولعلَّ الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) عنى هذه الجهة بقوله: "حسين

(١) في كتابه السياسة الإسلامية، نقلاً عن الموقع الرسمي للسيد علي الميلاني.

منّي وأنا من حسين"[1]، أنّه لو لا تضحية الحسين (عليه السلام) لضاعت جميع جهود الرسول (صلّى الله عليه وآله) وما جاء به؛ فإنَّ بني أمية حملوا معول الهدم على جميع المبادئ التي جاء بها هذا الدين.

نماذج حسينية فلسطينية مشرقة

عندما ندعو إلى مشروع إحياء ثقافة الإباء الحسيني وخاصّة بين أوساط المثقفين الملتزمين والمقاومين للصهاينة، فهذا يعني أن تبقى المقاومة فعل مستمر لا ينضب، بل وقبل الفعل حركة ذهنية دائبة مستمرة في اللاوعي الباطني، والوعي الذهني، ومع أبي الأحرار نعيش المقاومة فكرة قبل أن تكون عمل يثخن الجرح في العدو، والفكرة أصل كل عمل إنساني.

الشهيد المعلم فتحي الشقاقي.. الواجب فوق الإمكان

وهنا نستذكر الحسيني الفلسطيني المميز الشهيد المفكّر المعلم الدكتور فتحي الشقاقي، وفكرة المقاومة التي أرساها، ففي البدء تبلورت فكرة الجهاد والمقاومة في فلسطين، ثمّ انبثق عنها عمل الجهاد، والمقاومة بعد إنشاء حركة الجهاد، كما أكَّد ذلك الشقاقي (رحمه الله) – مؤسّس الحركة– يقول:

"..مع نهاية السبعينيّات كان الحوار الفكري يتحوّل إلى مناخٍ سياسيٍّ تنبثق عنه نواةٌ تنظيميةٌ اندفعت لاحقاً باتجاه فلسطين المحتلة لأجل بناء الحركة الإسلامية الثورية".. فالحوار الفكري أسّس لمشروع الجهاد الإسلامي بعد تبلور الفكرة التي جمعت بين الإسلام كمرجعيةٍ ومنطلقٍ، وفلسطين كقضيةٍ وهدفٍ والجهاد والمقاومة كنهجٍ ووسيلةٍ، وهكذا وُجدت المقاومة في العقل

(١) مرت الإشارة إلى مصدر الحديث.

والفكر قبل السكين والبندقية وفي القلب والروح قبل القنبلة والصاروخ... المقاومة واجبٌ فوق الإمكان، فالثورة عمل غير مؤجّل.." وفق رؤية الشقاقي "فالوجوبُ فوق الإمكان، وإنَّ مهادنة العدو والهروب من مواجهته حتّى يكتمل ما يُسمى القدّرة المكافئة هما وهم يشلّ الحركة، ويقتلها ويسمح للعدو بالنمو والتعاظم، ويجعله دوماً في الوضع الأفضل للانقضاض..".

فأيّ تأجيلٍ للمقاومة تحت مبرراتٍ مثل: تحقيق التوازن الاستراتيجي، وإنجاز القوة ومراكمتها، وانتظار الخلافة الإسلامية[١]، وعبور مرحلة الاستضعاف، وانتهاء الإعداد والتربية، وإعطاء فرصة للسلام... هي وصفاتٌ لإطالة عمر الاحتلال ودولته، ولتأخير مشروع الجهاد والمقاومة لتحرير فلسطين، وللأمانة وللتاريخ فعندما رفعت الحركة الشعار الحسيني (الواجب فوق الإمكان) طبّقته عمليّاً على المقاومة متدرجة من السكين والحجر إلى القنبلة والبندقية وصولاً إلى المدفع والصاروخ، وكانت تدرك أنَّ مراكمة الإمكانيات والقوة تأتي من خلال الجهاد والمقاومة الفورية والمستمرة[٢]، وهو ما أثبتته تجربة حركة الجهاد الإسلامي على الأرض، بل تجربة كلّ الفصائل على الأرض وبالذات كتائب القسّام.

---

(١) كما كان يصرّ بعض الإسلاميين.

(٢) المرجع الشامل لفكر الشهيد الشقاقي هو: "رحلة الدم الذي هزم السيف: الأعمال الكاملة" إعداد وتوثيق الكاتب المصري المعروف رفعت سيد أحمد، وهو موسوعة ضمت أعمال الشقاقي السياسية، والفكرية والثقافية التي تعكس شخصيته، وآراءه ومواقفه، وصدرت بعد رحيله المفجع في عام ١٩٩٧م، وما استلهمناه من قبل وهنا هو بفضل هذه المجموعة المميزة للأستاذ رفعت.

باسل الأعرج والانتفاضة المظلومة

هناك أيضاً نموذجٌ فريدٌ آخر لشاب حسيني جندي متفانٍ مجهـول، قـرأ كربلاء الحسين بلا شكّ، وقرأ الكربلاءات المعاصرة، وكـان يجـب أن يرتـدي شال شهداء حزب الله الحـسينيون، الـشال الأسـود المخطّـط بـالأبيض، إنَّـه الشهيد باسل الأعرج الذي عرج باسلاً إلى السماء بعد مواجهة دامـت لأكثـر من ساعتين مع الجيش الصهيوني في قلب رام الله(١)، عـشّ الـدبابير، والمدينـة المخترقة بشكل شبه كاملٍ لصالح الموساد الصهيوني بفـضل التنـسيق الأمنـي الحقير، تاركاً خلفه كتاباً وكوفيّـةً، وسـلاحاً ورصاصـات أفرغهـا في صـدور المحتلّين.

لم نعرف والله هذا الشهيد حقَّ المعرفة، لكن نعرف أنَّـه كـان مـدوّناً يجمـع بين كتفيه تـاريخ فلـسطين مـن الاحـتلال البريطـاني إلى الاحـتلال الإسرائـيلي، وعشرات العمليات البطولية التي كان يرويهـا عـلى طريقـة الـسرد العاشـورائي الكربلائي خلال الرحلات الميدانيّة التي كان ينظّمها للجيل الفلسطيني المعـاصر بهدف التعريف، والربط بالأرض الفلـسطينية المحتلـة، وبهـدف أن لا ينـسى الناس المظلوميّة، ولا ينسون البطولة والتفاني والفـداء والإيثـار أيـضاً الـذي تحلَّت به المقاومة الفلسطينية على مدى تاريخها. سجنته سلطة التنسيق الأمنـي البغيضة، ولاحقاً بتواطئها تعرّض للمطاردة من طرف الاحتلال، فالشهادة.

---

(١) مدينة فلسطينية، ومركـز محافظـة رام الله والبـيرة. تعتـبر العاصـمة الإداريـة المؤقّتـة للسلطة الوطنية الفلسطينية، وفيها مقر المقاطعة، ومبنى المجلـس التـشريعي، والمقـرّ العامّ لجهاز الأمن بالإضافة إلى معظم وزارات السلطة ومكاتبها.

ترك هذا الشهيد المشتبك دائماً أثـراً بالغـاً في نفـوس شـباب فلـسطين، الـذين أوصـاهم بخـطّ يـده: الوصـيّة الأسـاس "أمانـة المقاومـة"، بـشقّيها العسكري الخشن، والثقافي الناعم، الذي أثبت "المثقّف المشتبك" أنَّـه شـديد الوطأة على الكيان الإسرائيلي، ومن كلماته التي يردّدها اليوم شـبابنا: (..بـدك تصير مثقف، بدك تصير مُشتبك، مـا بـدك مُـشتبك ... بـلا منـك وبـلا مـن ثقافتك/ كلّ ما تدفعه في المقاومـة إذا لم تحـصده في حياتـك فستحـصل عليـه لاحقاً، المقاومة جدوى مـستمرة/ لا تعتَـدْ رؤيـة الـصهيوني حتّـى لا تألفهـا عينك قبل عقلك، بل افعل ما يفعلـه أبنـاء غـزّة حيـنما يـشاهدون صـهيونياً، يركضون باحثين عن حجرٍ لرجمه به..).

المحطّات المشرّفة في تاريخ باسل الأعرج تكتب بأحرف من نـور بـدءاً من كلماته العميقة والبسيطة في ذات الوقت ورحلاته الميدانيّة الهادفـة، مـروراً باقتحامه متجر "رامي ليفي" الاستيطاني[١] وخروجه في مقدّمة المحتجّين على زيارة وزير دفاع جيش الاحتلال السابق "شاؤول موفاز" عام (٢٠١٢م) إلى الضفّة الغربيّـة، وصـولاً إلى الاشـتباك الـذي تلطّخـت فيـه كتبـه وكوفيّتـه، والبندقية بدمائه التي روت الأرض والقضيّة.

وإنَّني هنا أحمل البـشرى لـشعبنا وأُمتنـا، فـإنَّ هـذا الجيـل الـذي أراده الكيان الإسرائيلي، والمطّبعون المتهوّدون خاملاً مائعاً تحت شعار" التـسامح"، سيمسح غبار عشرات الـسنين مـن التخـاذل والتنـسيق الأمنـي الـذي كـان

(١) "سوق رامي ليفي الاستيطاني" الواقع على أراضي قرية جبع الفلسطينية القريبـة مـن القدس المحتلة، يعتبر أكبر سوق للبضائع الإسرائيليـة في الـضفة الغربيـة والأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، ويضيّق بشكل كبير على تسويق المنتجات الوطنية الفلسطينية.

"الشهيد الأعرج" أبرز ضحاياه، باعتبار أنَّه خرج من سجن السلطة الفلسطينية في أريحا عقب ستّة أشهر من الاختفاء والاعتقال مع خمسةٍ آخرين.

وفي (٦آذار ٢٠١٧) رحل ابن الثلاثة والثلاثين عاماً شهيداً كما كان يصبو، تاركاً خلفه أمانة الأرض والقضيّة، والانتفاضة التي كان يطلق عليها لقب "الانتفاضة المظلومة"، فهل سنكون أهلاً للأمانة؟

وممّا جاء في وصيته: أنا الآن أسير إلى حتفي راضياً مقتنعاً وجدت أجوبتي. يا ويلي ما أحمقني، وهل هناك أبلغ وأفصح من فعل الشهيد؟ كان من المفروض أن أكتب هذا قبل شهورٍ طويلة، إلا أن ما أقعدني عن هذا هو أن هذا سؤالكم أنتم الأحياء، فلماذا أجيب أنا عنكم فلتبحثوا أنتم. أما نحن – أهل القبور– فلا نبحث إلا عن رحمة الله.

وإن ذكرنا بعض النماذج البطولية الحسينية هنا فهي ليست على سبيل الحصر، بل إنّ هذا الشعب المضحي ولّاد للأبطال والهداة في التضحية والمقاومة.

كيف حدثت مأساة كربلاء؟

كيف تمكّن يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وقادة جيشهما، من ارتكاب تلك الفظائع بسبط رسول الله وريحانته، وبالعترة النبويَّة الطاهرة؟ لقد منعوا الماء عن عيالات أهل البيت (عليه السلام)، وتركوهم يعانون شدة الظمأ والعطش، وذبحوا الأطفال الرضّع، وقتلوا الحسين (عليه السلام) سيّد شباب أهل الجنة، والفتية الهاشمية، ومن معهم من الأنصار أفجع قتلة، حزوا رؤوسهم، ورضوا صدر الحسين بالخيول، ثمَّ سبوا النساء والأطفال،

وأخذوهم أسارى إلى الكوفة والشام، يتفرَّج الناس عليهم، وبلغت الجرأة بيزيد أن صار يعبث برأس الحسين أمام الجمهور، وينكت ثناياه بعصاه[١].

كيف حدث كل ذلك؟ وأين كانت الأمة؟

لقد وقعت المأساة حينما صُورتِّ المعركة وكأنَّها نزاعٌ بين شخصين، أو طرفين على الحكم والسلطة، وساد موقف الخذلان جماهير الأمَّة خوفاً من سطوة الحكم الأموي، أو رغبةً في عطائه، وإيثاراً للسلامة والراحة، ففسح ذلك المجال للسلطة الأموية أن تمارس جريمتها النكراء وأن تكرّس وجودها الظالم؛ لتعربد في ساحة الأمة، دون وازعٍ ورادعٍ، تنتهك الحرمات، وتصادر الحريات، وتعيث في الأرض فساداً، حيث أباح يزيد فيما بعد المدينة المنورة لجيشه بقيادة مسلم بن عقبة، ثلاثة أيام سنة (٦٣هـ)، فيما عرف بواقعة الحَرَّة الفظيعة[٢].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري ج٤، ص٣٠١، وما بعدها.

(٢) قال ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري، ج٤، ص٦٩): قلت: يوم الحرّة قتل فيه من الأنصار من لا يحصى عدده، ونُهبت المدينة الشريفة، وبذل فيها السيف ثلاثة أيام، وكان ذلك في أيام يزيد بن معاوية.." وقال في (فتح الباري، ج١٦ ص٥٤٠-٥٤١): "قلت: وكان السبب فيه ما ذكره الطبري مسنداً: (أن يزيد بن معاوية كان أمر على المدينة ابن عمه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فأوفد إلى يزيد جماعة من أهل المدينة منهم عبد الله ابن غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي في آخرين فأكرمهم وأجازهم، فرجعوا فأظهروا عيبه ونسبوه إلى شرب الخمر وغير ذلك، ثمَّ وثبوا على عثمان فأخرجوه، وخلعوا يزيد بن معاوية، فبلغ ذلك يزيد فجهز إليهم جيشاً مع مسلم بن عقبة المري وأمره أن يدعوهم ثلاثاً فإن رجعوا وإلَّا فقاتلهم، ..فإذا ظهرت فأبحها ثلاثاً ثُمَّ أكفف عنهم، فتوجه إليهم فوصل في ذي

يقول ابن الأثير: «وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شرٌّ عظيم وفسادٌ عريض. ثمَّ استدعى (مسلم بن عقبة) بعمرو بن عثمان بن عفان، وأمر به فنتفت لحيته بين يديه، وكان ذا لحيةٍ كبيرةٍ.. قال المدائني: وأباح المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال، ووقعوا على النساء حتّى قيل إنَّه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج!.. وقال المدائني عن شيخ من أهل المدينة قال: سألت الزهري: كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار[1]، ووجوه الموالي وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم

الحجة سنة ثلاثين فحاربوه، وكان الأمير على الأنصار عبد الله بن حنظلة وعلى قريش عبد الله بن مطيع وعلى غيرهم من القبائل معقل بن يسار الأشجعي، وكانوا اتخذوا خندقاً، فلما وقعت الوقعة انهزم أهل المدينة، فقتل ابن حنظلة، وفرّ ابن مطيع، وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً، فقتل جماعة صبراً، منهم معقل بن سنان ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة ويزيد بن عبد الله بن زمعة وبايع الباقين على أنَّهم خول ليزيد).

(١) أقول: كلما كنت أحدث معارفي عن مظلومية الحسين (عليه السلام) باعتبارها نكبةً من نكبات الإسلام يسارع بعض من أعماه التعصب المذهبي باتّهامي أنّني أروّج للشيعة كطائفة بعينها، وليس انتصارا لفجيعة النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله) في عترته، وهنا أسأل: إذا كان الأمر كما تزعمون، فأين أنتم عن واقعة الحرة؟ ألا تستحقّ التوقف والدراسة؟ وإذا كان كل انتصار لآل محمّد هو ترويج لمذهب إخواننا الشيعة، فماذا عن استباحة مدينة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في وقعة الحرة، وقتل المئات من الصحابة وأبنائهم؟ واغتصاب ألف امرأة من بنات صحابة النبيّ الكريم (صلّى الله عليه وآله)؟ إنَّه والله الصمت الذي يبقي على الانحراف، ويبيض وجه أسلاف تكفيريي اليوم من الدواعش، والمتاسلمين التلموديين.

عشرة آلاف»[١]. ولو أن رجالات الأمة، وجماهيرها وقفت مع الإمام الحسين، ولم تخضع لإغراءات وبطش يزيد، لما حصلت مأساة كربلاء، ولما ضاعت كرامة الأمة، وحرمة مقدساتها، ولما وصلنا إلى مآسٍ أخرى كوقعة الحرة، وبقية الرزايا، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله..

إنَّ على كلّ حرٍّ ومسلم أن يفكر فيما يمكنه عمله والقيام به، ضد هذا العدوان الصهيوني البشع المستمر، على مقدساتنا وأهالينا في فلسطين، وأن لا يرضى لنفسه بموقف المتابع المتألّم لما يجري فقط، وأضعف الإيمان أن يضرع إلى الله تعالى بالدعاء، وأن يبذل ماله لدعم المقاومة في فلسطين، وأن يتبرع بدمه، وأن يقاطع البضائع الأجنبية المستوردة من الجهات الداعمة للصهاينة...[٢].

حتى لا يذبح الحسين من جديد

إنَّ أمتنا الإسلامية اليوم أمام كربلاء متجدِّدةٌ في مناطق عدة ولكن هنا وهذه المساحة لفلسطين، فإذا ما تخاذلت الأمّة عن شعبها وفسحت المجال لجيش الصهاينة المعتدين، يقتل ويدمر، ويستمر في هذا الفساد والإجرام على الأرض الفلسطينية، ويذيق أهلها ألوان الذل والهوان والمآسي، فإنَّ الأمر لن يقتصر كما نشاهد على فلسطين وأهل فلسطين، بل سيصبح العرب والمسلمون جميعاً تحت هيمنة الإذلال الصهيوني، وأطماع الصهاينة التوسعية، وتهديداتهم المستمرة لجميع البلدان الإسلامية[٣].

(١) الدمشقي، الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٢٨، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) بتصرّف عن مجموعة محاضرات للعلامة حسن الصفار.

(٣) لقد كتب الصديق الدكتور المهندس سفيان التل مؤخّراً كتاباً بعنوان (الهيمنة

وكما علّمنا باسل الحبيب، مداومة الاشتباك على مدار الساعة بكلّ الأشكال والوسائل، وإلّا ستهون فلسطين والأقصى ودماء الشهداء، ورحم الله الأديب المصري عبد الرحمن الشرقاوي[1] عندما قال في مسرحية (ثأر الله) على لسان أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)[2]:

الصهيونية على الأردن)، وهذا الكتاب يشكل صرخة مخلصة للحذر من المخططات الصهيونية نحو الاستيلاء على الأردن، وتحويل الضفة الشرقية إلى تابع كامل للكيان الصهيوني، الكتاب يتحدّث إلى كلّ الغيورين على وطنهم، وأرضهم وعرضهم؛ لكي يتنبهوا إلى الخطر الداهم الذي يحيق بالأردن ويتهدد وجوده، وهذا كنموذجٍ على الصلف الصهيوني، وتآمره وجشعه، وأطماعه في كلّ مقدرات أمتنا.

(١) عبد الرحمن الشرقاوي (١٩٢١ - ١٩٨٧م) شاعرٌ وأديبٌ وصحافي، ومؤلف مسرحي، ومفكر إسلاميّ مصري، من أشهر أعماله مسرحية الحسين ثائراً، ومسرحية الحسين شهيداً، ومأساة جميلة عن الجزائرية جميلة بوحيرد، ومسرحية الفتى مهران، والنسر الأحمر، وأحمد عرابي، أما في مجال التراجم الإسلامية فقد كتب محمد رسول الحريّة وعلي إمام المتقين، كما شارك في سيناريو فيلم الرسالة بالاشتراك مع توفيق الحكيم، وعبد الحميد جودة السحار، حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٤م، ووسام الآداب، والفنون من الطبقة الأولى.

(٢) ظلَّت مسرحية "ثأر الله"، ممنوعة من العرض منذ صدورها كتاباً في ١٩٦٩م، وفى ١٩٧٢م، اتّفق المخرج المسرحي كرم مطاوع، والشرقاوي على تحويلها لعمل مسرحي، وبدؤوا البروفات، وكان من المقرر أن يكون الافتتاح في كانون الأول ١٩٧٢، وبعد الانتهاء من البروفة النهائية في تشرين الثاني من نفس العامّ، أبدى الأزهر اعتراضه عليها؛ بحجة حرمة تجسيد الشخصيات التي تنتمي لآل البيت، فتمّ الاتفاق على أن يبدأ عبد الله غيث الذي يجسّد شخصية الحسين كلامه بعبارة "قال الحسين"، وأن تفعل الأمر نفسه أمينة رزق التي كانت تجسّد شخصية السيدة زينب،

ودعا كرم مطاوع عددا من الصحفيين، والكتاب ومسؤولي الرقابة على المصنفات الفنية، وعدداً من علماء الأزهر؛ لمشاهدة البروفة، لكنَّ الأزهر بقي متشنّجاً تجاه العرض. وبعد ١٩٧٦م، عادت "ثأر الله"تلح على عبد الرحمن الشرقاوي وكرم مطاوع، لكنَّ الأزهر وقف لهما بالمرصاد، وفى ١٩٨٧م، تمَّ طلب إجازة للعرض، وعُرضت المسرحية مجدداً على الرقابة التي أحالتها للجنة من علماء الأزهر، فأبدوا تحفظات على ظهور الحسين، والسيدة زينب، وتمَّ الاتفاق على صيغة "يقول الحسين" "وتقول زينب"، وطلبت اللجنة تغيير اسم"ثأر الله" فاستقرّ الشرقاوى على"الحسين ثائراً"، عنواناً لجزئَي المسرحية "الحسين ثائراً والحسين شهيداً"، وبعد دمجهما تمت إجازة المسرحية، وقرّر وزير الثقافة أحمد هيكل، آنذاك، في أن يرى "الحسين"على المسرح، لكن – كما نشرت الصحافة– عجز المسرح القومي، ثمَّ المسرح الحديث عن تمويل العمل، ثمَّ مات الشرقاوى في ١٠/ تشرين الثاني/ ١٩٨٧م، ومعه توقَّفت المسرحية لأجلٍ غير مسمى. ثمَّ كانت محاولةٌ أخرى لتقديم المسرحية على خشبة المسرح، وكانت للمخرج جلال الشرقاوي، حين قدم طلباً لشيخ الأزهر، آنذاك، محمد سيد طنطاوي، في ٢٤/ آب/ ٢٠٠٠، برغبته في تقديم المسرحية مع مراعاة شروط الأزهر، وحوَّل "طنطاوي" الموضوع لمجمعّ البحوث الإسلامية، فأبدى بعضهم عدة اعتراضات منها أنَّ هذه المسرحية من الممكن أن تحدث فتنة بين الشيعة والسنة، وأنَّ المسرحية تمثّل تحريضا للشعب ضدّ الحكم الشرعيّ للبلاد، فعاد الشرقاوي وطلب من الإمام الأكبر أن يسمح له بحضور إحدى جلسات المجمع لمناقشة أسباب الرفض فوافق، وتمت مناقشة الاعتراضات، وبدا للشرقاوي أن من بين أعضاء المجمع من يعترض اعتراضاً شاملاً، وهناك من يوافق بتحفظات كان من السهل جداً مراعاتها، واستقرّ الرأي على أن يقدّم الشرقاوي النصّ لأعضاء المجمع أولاً ففعل، لكنَّ المجمّع أصرّ على الرفض، ثم ّكانت المحطة الأحدث، والتي تمثلت في محاولة المخرج عصام السيد بعد ثورة ٢٥ يناير كانون الثاني، والذي أعلن مدفوعاً

".. فإذا سكتم بعد ذاك على الخديعةِ وارتضى الإنسانُ ذلَّهْ... فأنا سأُذبحُ منْ جديدْ ... وأظلُّ أُقتلُ منْ جديدْ ..وأظلُّ أُقتلُ ألف قتلةْ ..

سأظلُّ أُقتلُ كلما سكتَ الغيورُ..وكلما أغفى الصبور.. الخ

سأظل أُقتلُ كلما رغِمتْ أنوفٌ في المذلَّةْ ...ويظل يحكمكم يزيدٌ.. ويفعل ما يريد ..

.. ويظلُّ يلعنكم، وإن طال المدى جرح الشهيد.."[1]

إذن كم يزيد منح الإذن لبيادقه يستعبدون الرعية، أليست أمريكا اليوم التي قتلت الملايين من البشر في السنوات الأخيرة فهي زعيمة اليزيدية المعاصرة؟

أليست مأساتنا الفلسطينية هي (كربلاء) جديدة؟

فلسطين هي تلك المذبحة التي نبَّهنا لها الحسين (عليه السلام) بقلم الشرقاوي في انبثاقة فنيَّةٍ روحيةٍ، لكن يبقى الإباء هو المحرّك المتثور في خوالج الأحرار ونستمع لقول حفيد الرسول (صلّى الله عليه وآله): (إنّي لا أرى

بمسلسل عمر (رض)، الذي ظهر فيه كلّ صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) رغبته في أن يعيد الحياة للمسرحية المنكوبة التي يعتبرها أحد أجمل النصوص المسرحية، وتقدّم بالفعل بنصّها للإجازة من الرقابة، لكنّه لم يتلقَ رداً. كتب الشرقاوي نصّ مسرحيته الملحميّ هذا بعد هزيمة عام ١٩٦٧م، التاريخ هنا له أهمية في فهم المشترك بين الماضي البعيد والماضي القريب، والذي أدّى بنهاية المطاف إلى الهزيمة المريرة في عام ١٩٦٧م. وسأبذل ما بوسعي إن شاء الله كي ترى هذه المسرحية النور بدعم المخلصين إن شاء الله (المؤلف).

(١) الشرقاوي، عبد الرحمن، الحسين ثائراً. شهيداً، ط٢، ١٩٨٥م، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ص٤٣٨.

الموت إلَّا سعادةً .. والحياة مع الظالمين إلَّا برما)[(١)].

في هذا الإطار أصبح الحسين بن علي الشهيد ابن الشهيد رمزاً للصراع من أجل الحقَّ والثبات على المبدأ، ومثالاً ورمزاً على هذا المستوى لكلّ حرٍّ في هذا العالم، بل للتاريخ الإنساني برمته، ولسان حال كلّ يراعٍ صادقٍ، يدّق جرس الإنذار في الضمائر الخاملة؛ ليقول على لسان الحسين أن يتذكره الجميع، أن يدركوا ثأره بعدم تخليهم عن طلب العدل والحقّ

مسرحية الشرقاوي تمثّل لسان حال الحسين: (.. قد آل أمر المتقين إلى سلاطين الفجور ...قل أي أنواع الرجال جعلتهم في الواجهات؟ قل أي أعلامٍ رفعت على البروج الشاهقات؟ فلتذكروني لا بسفككم دماء الآخرين ..بل فاذكروني بانتشال الحقّ من ظفر الضلال... بل فاذكروني بالنضال على الطريق..) وبالتأكيد ليس إلَّا طريق مقاومة المستكبرين والمحتلين[(٢)].

فإذا سكتم بعد ذاك على الخديعةِ وارتضى الإنسانُ ذلَّهْ..
فأنا سأُذبحُ منْ جديدْ..
وأظلُّ أُقتلُ منْ جديدْ..
وأظلُّ أُقتلُ ألف قتلةْ..

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣١٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص١٩٢؛ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، ص٣١٥؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص١١٥؛ الحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٨٨؛ الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٢.

(٢) بتصرّف عن مقالة الزميل معتز ممدوح تحت عنوان: الحسين في الخيال المصري الأدبي والتاريخي نشرت على موقع إضاءات المصري.

سأظلُّ أُقتلُ كلما سكتَ الغيورُ..

وكلما أغْفى الصبورْ..

سأظلُّ أُقتلُ كلما رغِمتْ أنوفٌ في المذلَّةْ..

ويظل يحكمكم يزيدٌ .. ويفعل ما يريد..

وولاته يستعبدونكم وهُم شر العبيد..

ويظلّ يلعنكم وإن طال المدى جرح الشهيد..

لأنَّكم لم تدركوا ثأر الشهيد ..

وبشكلٍ بديعٍ تتناول المسرحية الحوارات، وأحاديث النفس بين الحسين وآل البيت وبني أمية، حيث يقرر بعد منامٍ رآه أن يقف في وجه السيل، ويتحدّى ما هو قادمٌ، كما تتناول المسرحية ببيانٍ بليغٍ طلب بني أمية البيعة من الحسين وردّه عليهم:

الوليد .. نحن لا نطلب إلَّا كلمةً.

فلتقل بايعت، واذهب بسلامٍ إلى جموع الفقراء..

فلتقلها، واذهب يا ابن رسول الله حقناً للدماء..

فلتقلها.. ما أيسرها إنْ هي إلَّا كلمة ..

الحسين (منتفضاً): كبرت كلمة..

وهل البيعة إلَّا كلمة؟

وما دين المرء سوى كلمة؟!

وما شرف الله سوى كلمة؟!

ابن مروان (بغلظةٍ): فقل الكلمة، واذهب عنا ..

الحسين: .. أتعرف ما معنى الكلمة؟

مفتاح الجنة في كلمة
دخول النار على كلمة
وقضاء الله هو كلمة
الكلمة لو تعرف حرمة زادٍ مذخورٍ
الكلمة نورٌ ..
وبعض الكلمات قبورُ
وبعض الكلمات قلاعٌ شامخةٌ يعتصم بها النبل البشري
الكلمة فرقانٌ بين نبيٍّ، وبغيّ
بالكلمة تنكشف الغمة
الكلمة نورٌ
ودليلٌ تتبعه الأمة
عيسى ما كان سوى كلمة
أضاء الدنيا بالكلمات، وعلَّمها للصيادين
فساروا يهدون العالم ..
الكلمة زلزلت الظالم
الكلمة حصن الحريّة
إنَّ الكلمة مسؤولية
إنَّ الرجل هو كلمة
شرف الله هو الكلمة..[١]

(١) الشرقاوي، عبد الرحمن، الحسين ثائراً. شهيداً، ص ٤٢.

كما يستنطق الشرقاوي شخصية الحسين بن علي (عليه السلام) ويخاطب من خلالها ضمير المسلمين الصامتين الساكتين عن قول الحقّ في كلّ زمانٍ ومكان.

ويطلب الشرقاوي على لسان الحسين أن يتذكره الجميع، أن يدركوا ثأره من خلال عدم تخليهم دوماً عن طلب العدل والحقّ:

يا أيّها العصر الرزي لانت غاشية العصور..
قد آل أمر المتقين إلى سلاطين الفجور..
قل: أي أنواع الرجال جعلتهم في الواجهات؟
قل: أي أعلام رفعت على البروج الشاهقات؟
فلتذكروني لا بسفككم دماء الآخرين ..
بل فاذكروني بانتشال الحقّ من ظفر الضلال..
بل فاذكروني بالنضال على الطريق..
لكي يسود العدل فيما بينكم..
فلتذكروني بالنضال..
فلتذكروني عندما تغدو الحقيقة وحدها..
حيرى حزينة..
فلتذكروني عندما تجد الفضائل نفسها..
أضحت غريبة..
وإذا الرذائل أصبحت هي وحدها الفُضلى الحبيبة..
فاذكروني..
فلتذكروني حين تختلط الشجاعة بالحماقة..

وإذا المنافع والمكاسب صرن ميزان الصداقة..
والحقّ في الأسمال مشلول الخطى حذر السيوف..
فلتذكروني حين يختلط المزيف بالشريف..
فلتذكروني حين تشتبه الحقيقة بالخيال..
وإذا غدا البهتان والتزييف، والكذب المجلجل هنَّ آيات النجاح..
فلتذكروني في الدموع..
وإذا تحكم، فاسقوكم في مصير المؤمنين..
وإذا اختفى صدح البلبل في حياتكم؛ ليرتفع النباح..
وتلجلَج الحقّ الصراح..
فلتذكروني..
وإذا شكا الفقراء، واكتظَّت جيوب الأغنياء..
فلتذكروني عندما يُفتِى الجهول..
وحين يستخزى العليم..
وعندما يهِن الحكيم..
وحين يستعلى الذليل..
وإذا تبقى فوق مائدةٍ امرئٍ ما لا يريد من الطعام..
وإذا اللِّسان أذاع ما يأبى الضمير من الكلام..
فلتذكروني..
فلتذكروني إن رأيْتُم حاكميكم يكذبون..
ويغدرون، ويفتكون..
والأقوياء ينافقون..

والقائمين على مصالحكم يهابون القويّ..

ولا يراعون الضعيف..

والصامدين من الرجال غدوا كأشباه الرجال[١]

حريٌّ بشباب المقاومة، وبالفنانين الملتزمين أن يطالعوا هذا النصّ المسرحيّ المظلوم كبطله، ويمثلوه في محافلهم، وأنا بحكم دراستي للمسرح في الجامعة الأردنية حاضرٌ للمساعدة في الإخراج أو التمثيل، بل حتّى خدمة المشاركين في العمل كما أعتني بأولادي وأكثر، وبكلّ إمكانياتي إن شاء الله.

الوفاء الصادق للحسين ثورة وجهاد

"..ما أجمل أن نحيي بصدقٍ ذكرى الحسين (عليه السلام)، وأن نظهر الحزن من أعماق قلوبنا، ونقتنص الفرصة لجعل هذه الذكرى لنا جميعاً وعدم التناكف وحصرها في إطارٍ مذهبيٍّ، بل التشرُّف بهذه النهضة وإحيائها؛ لأنَّها تمثِّل قمَّة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويجب أن يكون بمقارعة اليزيدية المعاصرة الأمريكية الصهيونية، وليس التذبذب في المواقف، أو تقديم المواقف المخزية في خدمة المعسكر الأمريكي اليزيدي وتوجيه السهام القاتلة إلى خيمة الحسين المعاصرة، ولأهل المقاومة، وجبهة الحقّ.

يا مَن رأى حبَّ الحُسين تشيّعاً إنَّ التشيّع ثورةٌ وجهادُ

نعم ثورةٌ وجهادٌ، وليس مظاهر وطقوس بينما بقية النهج والسلوك، فهو في خدمة المستكبرين الظالمين ناهبي الشعوب، وقد شاهدنا من أدعياء

(١) اقتبست من صفحات متفرقة من كلا النّصين المجمعين في (الحسين ثائراً شهيداً)، الشرقاوي عبد الرحمن.

التشيع أمثال هؤلاء في لندن وبعض مناطق العراق. إذن التشيع المحمود الذي هو أيضا السنّة المحمديّة الحسينية يعني في عصرنا الثورة بلا هوادة على استكبار أمريكا، والبصيرة في وجه مخططاتها؛ لخدمة بني صهيون بالتعاون مع أدواتهم من أنظمة القبائل المستعربة المتهودة، بغض النظر عن (موازين القوى)، والوفاء للحسين (عليه السلام) يكون باستشعار بذله للغالي والنفيس من نفس ومال، وعدم القبول بالذلّة حين صرخ صرخةً صادقة معبرة: (هيهات منّا الذلّة)[1].

جانب من فلسفة تجديد الحزن

ينقل صديقٌ إيرانيٌّ مغتربٌ أنَّ اجتماعاً ضمَّه مع أساتذةٍ جامعيين، وكان من ضمنهم أحد الأساتذة الأوروبيين، ولم يكن مُلِّماً بالأمور الدينية، وكان قد شاهدَ عبرَ القناة الانجليزية الإيرانية مراسم عاشوراء على مدى يومين بعدها قالَ: ترى ما الذي حصل؟ فقيل له: إنَّها مراسمُ عزاءٍ لأحدِ قادة المسلمين قتلوهُ وأسروا أهلَ بيتِهِ وعياله فقال: متّى وقعت هذه الحادثة؟ لم نسمع فيها بالأخبار؟ فقيل له إنَّها وقعت قبلَ أكثر من (١٤٠٠عامٍ) خَلت، فتساءل: ولمَ البكاء عليه بهذه الحرارة؟ وأنتم تقولونَ إنَّ الحادثة قد وقعت قبل أكثرَ من ألف عام؟

أضافَ بعدها: إنَّ طريقة بكائكم تُشير إلى أن الرجل قُتِلَ للتو! فردَّ عليه: نعم. لقد أريق دم الحسين (عليه السلام)بالنسبة لنا كيوم أمسِ، ولن

---

(١) الفقرة الأخيرة من مقالة للكاتب الفلسطيني سري سمور بتصرّف: نُشرت في صحيفة الوفاق الإيرانية.

يلعب عنصر الزمان والمكان دوراً مهمّاً في هـذه القـضية؛ لأنَّ مُناشـدة العـدل والحقيقة لا تعرف الزمان والمكان، وليس مهمّاً متى أُريق هذا الدم. المهـم أنَّ هـذا الدم الطاهر أُريق، وهذا هو المهم بالنسبة لنا. فتعجب كثـيراً لكـلِّ مـا يـرى مـن اهتمامٍ بذكرى شهادة حفيد نبيّ الإسلام (عليهما السلام)، وكيف يبكي الإنـسان مأساة الحسين بعدَ كُلِّ هذه الفترة الزمنية الطويلة، وكأنَّ الحسين قُتِل بالأمسِ.

كربلاء الفلسطينية

".. وعندما نذكّر أبطال المقاومة الفلـسطينية بإحيـاء قـضية عاشـوراء، فليس من باب أنَّ ذلك معالجةً لحدثٍ تاريخيٍّ تجاوزه الزمن، وليس المقـصود منه إعلان المناوءَة، والعداء حتّى لشخص يزيد بن معاوية، وأقطاب حكمـه، وجنود جيشه، فهم جميعاً قد أصبحوا في مزبلة التاريخ، ونالهم مـا يـستحقون من العقاب الإلهيّ.

ولا يستهدف الاحتفاء بعاشـوراء الانتـصار لـشخص الإمـام الحـسين وأصحابه، فقد كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وهم أحياء عند ربّهم يرزقون، في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

والحسين ما ثار باعتباره ممثلاً لطائفةٍ خاصَّةٍ، أو إماماً لمذهب معين، بـل فجرّ نهضته المباركة من أجل الأمة كلّها، وباعتباره يمثِّـل الامتـداد الطبيعـيّ، والرسالي لجده رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي قال عنـه "حـسين منـي وأنا من حسين أحبَّ الله مَن أحب حسينا"[(١)].

---

(١) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، فضائل الحسن والحسين، بن حنبل، مـسند الإمـام أحمـد، حديث رقم ١٧٧٠٤. وقد مرّ من مصدر آخر.

القضية كانت معركةً بين الحقّ والباطل، بين الالتزام بالكتاب والسنة، والانحراف عنهما، والحسين كان يمثّل موقف الشرع والحقّ، وقد نصرته ثلّةٌ مؤمنةٌ تلتزم بالشرع، وتضحي من أجل الحقّ، وقاتلته جموعٌ ضالةٌ منحرفةٌ خضعت لسلطة الباطل، وخذلته نفوسٌ مضللةٌ جبانةٌ استجابت للترهيب والترغيب، وآثرت المصالح الزائلة على رضا الله ونصرة الدين.

كلُّ ذلك بعيدٌ عن الفرز المذهبي، حيث لم يكن هناك بعد سنّةٌ، ولا شيعة.. بهذا المصطلح الذي حدث فيما بعد من السنين والقرون..

النظرة الطائفية للتراث والتاريخ

".. هناك العديد من الناس يحصرون ثورة الحسين (عليه السلام) بتاريخ معيّنٍ، أو يغضّون البصر عنها؛ لأنّها حسب زعمهم تخصّ طائفةً معينةً مع أنّها تعني كلَّ إنسان مدافعٍ عن الحقّ مهما كانت عقيدته، ومذهبه وقوميّته، هو الحسين (عليه السلام) سبط النبي (صلّى الله عليه وآله)، وابن فاطمة الزهراء (عليه السلام)ريحانة نبي الرحمة، ووالده عليّ (كرّم الله وجهه) الذي أسلم ولم يسجد لصنم، وتربّى في حجر النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، ونام في فراشه ليلة الهجرة كأوّل فدائيٍّ في الإسلام، وشارك في غزوات المسلمين، وأبلى بلاءً نعرفه، وقرأنا عنه منذ نعومة أظفارنا، كلُّ ذلك لم يمنعه من الحضور والتضحية الكبرى، بل لم يقف عند البشرى بالجنة، ولو مات على فراشه، فانطلق ثائراً ليسطّر ملحمة كربلاء، ويثبت بدمه الطاهر بقاء الإسلام[1] ..

---

(١) الفقرة مقتبسة بتصرّف من مقالة للكاتب الفلسطيني سري سمور نشرت في صحيفة الوفاق الإيرانية بتاريخ ٢٢/ أيلول / ٢٠١٧.

".. ومن المشاكل التي نعاني منها الآن كمسلمين في تعاملنا مع تراثنا، وتاريخنا أنَّنا نسقط الفرز المذهبي اللَّاحق على تاريخنا السابق فنتعامل مع الأحداث والشخصيات، والحقائق من خلال الفرز المذهبيّ الذي نعيشه، مما يفقدنا الموضوعية والإنصاف[1]، وهذا هو بالضبط ما يحصل لقضية الحسين، حيث يُتعامل معها وكأنَّها قضيةٌ مذهبيةٌ، أو موضوعٌ يخصُّ إخواننا الشيعة، ولا يعني بقية المسلمين مع أنَّ شخصية الإمام الحسين موضع تقديرٍ واحترامٍ، ومحبة كلّ المسلمين، ولا أحد ينازع في ذلك، ومقتله بتلك الطريقة الشنيعة مُدانٌ ومرفوضٌ من قبل جميع المسلمين، فلا أحد يبرره أو يقبله، فبدءاً ممن تبقى من صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، كجابر بن عبد الله الأنصاري وزيد بن أرقم، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، والموجودات من أمهات المؤمنين كأم سلمة[2]، مروراً بطبقة التابعين، وأجيال

(١) ولهذا إذا تحدثنا بأحزانِ وأفراح قادة الإسلام آل النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، وبنات الرسالة المحمّدية، سارع من يسيء الظن بك من أقرب الناس إليك من إخوانك، ومحبيك يتّهمونك سامحهم الله بشتى التهم، وأنَّك مروّج للباطنية والمجوسية!! وكأنَّنا انسلخنا من إسلامنا! ولا كأن أجر رسالة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بنصّ القرآن هو المودة في القربى!

(٢) إحدى زوجات الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، وقد تقدّم بها العمر إلى أواخر سنة ٦١ أو ٦٢ للهجرة، بحسب الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في كتابها «موسوعة آل النبي» تقول عن هذه السيّدة الجليلة ما نصّه: و"تقدّم العمر بأمّ سلمة زوجة النبيّ حتّى امتحنت كما امتحن الإسلام كلّه بمأساة كربلاء، ومذبحة أهل بيت الرسول هناك، وتقول رواية: أنّها ماتت في آخر سنة ٦١ هجريّة، بعد ما جاءها نعي الحسين بن علي (عليه السلام)، وقيل بل امتدّ بها الأجل عاماً آخر وماتت حين سمعت بالجيش

الفقهاء والعلماء والشعراء المسلمين، في جميع العصور، كلهم كانوا يبدون التألم والتفجّع على ما أصاب الحسين (عليه السلام)، وهناك قصيدة تنسب للإمام الفلسطيني [1] الشافعي في رثاء الحسين منها قوله:

فمن مبلغٌ عنّي الحسين رسالةً ... وإن كرهتها أنفسٌ وقلوب

ذبيحٌ بلاجرمٍ كأنَّ قميصه ... صبيغ بماء الأرجوان خضيب

تزلزلت الدنيا لآل محمَّدٍ ... وكادت لهم صمُّ الجبال تذوب

يُصلى على المبعوث من آل هاشم ... ويُغزى بنوه إن ذا لعجيب

لئن كان ذنبي حب آل محمَّدٍ ... فذلك ذنب لست عنه أتوب [2]

الذي جهزه "يزيد بن معاوية" للفتك بآل علي (عليه السلام) في المدينة سنة ٦٣ هـ.. إلى أن تقول بنت الشاطئ: وأمّ سلمة آخر من مات من نساء النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ... ودفنت بالبقيع ".

(١) ولد الإمام محمّد بن إدريس الشافعي بغزة عام ٧٦٧ للميلاد، ودفن بالقاهرة عام ٨٢٠ عن عمر ناهز ٥٣ عاماً، وعاش حياته متنقلاً بين اليمن ومكة، وبغداد ومصر، ينشر من خلاله العلوم الإسلامية، وينتمي الشافعي لأشرف نسب خلق الله، فهو بنو عمومة النبي محمّد (صلّى الله عليه وآله) الذي يجتمع معه بالسيد هاشم، الذي دُفن بغزة، وسميت المدينة (غزة هاشم) اسمه، ويعد هاشم الجد الرابع لسيدنا محمّد (صلّى الله عليه وآله)، والسابع للإمام الشافعي.

(٢) شبر، جواد شبر، أدب الطفّ، ج١، ص٢١٤، دار المرتضى، بيروت ١٩٨٨م، وقريب منه راجع: ابن عقيل، محمد، النصائح الكافية، ص٢٢٥، نقلاً عن الحافظ البيهقي؛ الحنفي علي محمد فتح الدين، فلك النجاة في الإمامة والصلاة، ص٢٠، الزرندي الشافعي، محمد بن يوسف، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول (عليه السلام)، ص١٠١؛ القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٣، ص١٠٠.

هكذا كانت قضية الحسين في العهود الإسلامية الأولى، محلَّ اهتمام من قبل جميع المسلمين العارفين بمقام الحسين، قبل أن تستحكم حالة الفرز المذهبي، لتصبح القضية وكأنَّها تخصُّ الشيعة، ولا يهتم بها غيرهم[١].

سيد شباب أهل الجنة بلا منازع

تحوي المكتبة العربية بحمد الله على نتاجٍ مغفول عنه، وهو محاولاتٌ رائدةٌ وجهودٌ طيبة قام بها مفكرونا الأبرار؛ لإبراز القضية الحسينية في إطارها الإنساني والإسلامي كبعض محاضرات الشيخ عبد الحميد كشك[٢]، التي خصَّصها للحديث عن ثورة الإمام الحسين، وكتاب العلامة الشيخ عبد الله العلايلي[٣] (سمو المعنى في سمو الذات)، وكتاب الدكتورة عائشة عبد الرحمن

(١) بتصرّف عن بعض محاضرات العلامة حسن الصفار.

(٢) مرّت ترجمته.

(٣) العلامة الشيخ عبد الله العلايلي (١٩١٤-١٩٩٦م) فقيهٌ لبناني درس في جامعة الأزهر، وعمل في دار الإفتاء في لبنان، وكان عالماً موسوعياً له آراء متميزة في اللغة والأدب، والسياسة والاجتماع. تتوزّع مؤلفاته في مجالاتٍ متنوعةٍ مثل فقه اللغة، والرواية والشعر، والفقه المقارن، ومشكلات الإفتاء، والتاريخ والدراسات الفكرية، والدراسات الإسلامية، التي يمكن أن نضع كتابه عن الإمام الحسين (عليه السلام) في إطارها. لقد ظهر هذا الكتاب أوّلاً بعنوان (سمو المعنى في سمو الذات، أو أشعة من حياة الإمام الحسين)، ثمّ أكمله بجزأين آخرين عن (تاريخ الحسين)، و(أيام الحسين)، ويمكن للقارئ الكريم مراجعتها، ولو من النسخة الالكترونية المتوفرة بحمد الله، يقول العلايلي: إنَّ الإمام الحسين ضرب لنا "مثالاً في كيف نخدم قضايانا المقدسة، وهذا الجانب يدخل في أمسِ حاجاتنا، فنحن في مرحلتنا الجهادية التي نشمّر فيها عن ساق، حريّ بنا أن نعرف أولاً كيف تُخدم القضايا العامّة، وهذا الدرس لن

(بنت الشاطئ)[1] (بطلة كربلاء زينب بنت علي).إنَّ مثل هذه الجهود، تـشكّل

نعرفه على وجهه إلَّا عند الحسين، فإنَّ جميع مَن يعرفنا التاريخ بهم مناشئ الرجـالات في شتّى الأمم، لا نجد بينهم من يجيء مع الحسين قريناً، ولن نجد في التاريخ له مـثلاً ولا نظيراً، وإنَّما نجد إنساناً يندفع عـلى المـوت كـما ينـدفع الطفـل عـلى الحيـاة بكـل جوارحه واستعداداته، فهي تجتمع عند الطفل؛ لكي تحيا وتجتمـع عنـد البطـل لكـي تموت، وفي حيوانية حياة الطفل سرّ الموت، وفي موت البطل سرّ الحيـاة.. إنَّـه أعطانـا شكلاً للزعيم المكافح الذي إذا خاضَ معركة الحـقّ والباطـل فإنَّـه لا يعـود إلَّا بـأن ينتصر به الحقّ أو بأن ينتظر، وانتصار الحقّ ممَّا ليس منه بدٌّ، وإن كان للباطـل صـولة، وللمبطل دولة، ولكن إلى حين".

(١) عائشة محمد علي عبد الـرحمن المعروفـة ببنـت الـشاطئ (١٩١٢-١٩٩٨ م) مفكـرةٌ وكاتبةٌ مصرية، وأستاذةٌ جامعيةٌ وباحثةٌ، وهي أوّل امرأةٍ تحاضر بـالأزهر الـشريف، ومن أوائل اللـواتي عملـن بالـصحافة في مـصر، وبالخـصوص في جريـدة الأهـرام، واصلت مسيرتها العلمية حتّى نالـت رسـالة الـدكتوراه عـام ١٩٥٠م، كانـت بنـت الشاطئ نموذجاً للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفـسها بالإسـلام، فمـن طفلـة صغيرة على شاطئ النيل في دميـاط إلى أسـتاذ للتفـسير والدراسـات العليـا في كليـة الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، وأستاذ كرسي اللغة العربية، وآدابهـا في جامعـة عين شمس بمصر، وأستاذ زائر لجامعات عربية عدة، ساهمت في تخـريج أجيـال مـن العلماء والمفكّرين العرب، بـدأت النـشر منـذ كـان سـنها ١٨ سـنة في مجلـة النهـضة النسائية، وبعدها بعامين بدأت الكتابة في جريدة الأهرام فكانت ثاني امرأة تكتب بهـا بعد الأديبة مي زيادة، وكان لها مواقفٌ فكريةً شهيرةً، اتخذت مواقف حاسـمة دفاعـاً عن الإسلام، فخلّفت وراءها سجلاً مشرفاً من السجالات الفكريـة التـي خاضـتها بقوةٍ؛ وكان أبرزها موقفها ضدَّ التفسير العصري للقرآن الكـريم ذوداً عـن الـتراث، ودعمها لتعليم المرأة واحترامهـا بمنطـقٍ إسـلامي، وموقفهـا الـشهير مـن البهائيـة،

نماذج صادقة؛ لاختراق الحصار الذي فرضته حالة الفرز، والتصنيف المذهبي الطائفي على قضية ثورة الحسين. وللأمانة فقد اهتمّ الكثير من الكتاب والأدباء المسلمين، والعرب بقضية استشهاد الحسين (عليه السلام) قبل موجة المدّ الوهابي وبروز الجماعات التكفيرية، وأُلفت في هذا الإطار العديد من الأعمال الكلاسيكية التاريخية والأدبية، من أبرزها كتاب "أبو الشهداء": الحسين بن علي لعباس محمود العقاد[1]، وكتاب (أبناء الرسول في كربلاء) لخالد محمد خالد.. فالحسين (عليه السلام) إذن من منظور المعتد بهم من أهل الإسلام بجناحيه السني والشيعي هو بطل وشهيد، وهو سيد شباب أهل الجنة كما جاء في الحديث الصحيح[2]، ولذلك يجب دائماً التفريق والتمييز بين السادة

وكتابتها عن علاقة البهائية بالصهيونية العالمية أبرز مؤلفاتها هي: التفسير البياني للقرآن الكريم، والقرآن وقضايا الإنسان، وتراجم سيدات بيت النبوة، وكتاب (بطلة كربلاء زينب بنت علي) وكذا تحقيق الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات.

(١) عباس محمود العقاد: أَدِيبٌ كَبِير، وشاعِر، وسِياسِي، ومُؤرِّخ، وصَحَفي، وراهِبُ مِحْرابِ الأدَب، ذاعَ صِيتُه فمَلَأَ الدُّنْيا بأَدبِه، ومثَّل حَالةً فَرِيدةً في الأدَبِ العَرَبيِّ الحَدِيث، ووصَلَ فِيهِ إلى مَرْتَبةٍ فَرِيدَة، وُلِدَ عامَ ١٨٨٩م، اكتَفَى العَقَّادُ بحُصُولِه عَلى الشَّهادَةِ الابتِدائيَّة، غيْرَ أَنَّهُ عَكَفَ عَلى القِراءَةِ وثقَّفَ نفْسَه بنفْسِه؛ حيثُ حَوَتْ مَكْتبتُه أَكثرَ مِن ثَلاثِينَ ألْفَ كِتاب، شارَكَ العقَّادُ بقوَّةٍ فِي مُعْتَرَكِ الحَياةِ السِّياسيَّة؛ فانْضَمَّ لِحزبِ الوَفْد، وهاجَمَ المَلِكَ آنذاك أَثْناءَ إِعْدادِ الدُّسْتُور؛ فسُجِنَ تِسْعةَ أَشْهُر، كَما اعْتَرَضَ عَلى مُعاهَدةِ ١٩٣٦م. حارَبَ كذلِكَ الاسْتِبدادَ والحُكْمَ المُطْلَقَ والفاشِيَّةَ والنَّازيَّة، تَعدَّدَتْ كُتُبُه حتَّى تَعَدَّتِ المِائة، ومِنْ أَشْهرِها العَبْقريَّات، وأبو الشهداء: الحسين بن علي، بالإِضافةِ إِلى العَدِيدِ مِنَ المَقالاتِ الَّتي يَصعُبُ حَصْرُها، تُوفِّيَ (رحمه الله) عامَ ١٩٦٤م.

(٢) صدور هذا الحديث عن النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) من المسلّمات، وقد ورد بأسانيد

كثيرة عن ستة عشر صحابياً أو أكثر، فيها ما هو صحيح وفيها الحسن، وقد أقرَّ المناوي بتواتر الحديث (فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٣، ص٥٥٠)، وعدَّه الشيخ الكتاني في الأحاديث المتواترة (نظم المتناثر في الحديث المتواتر، ص١٩٦) قال: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" أورده في الأزهار من حديث أبي سعيد -الخدري- وحذيفة بن اليمان وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب- وجابر بن عبد الله والحسين بن علي وأسامة بن زيد والبراء بن عازب وقرَّة بن إياس ومالك بن الحويرث وأبي هريرة وابن عمر وابن مسعود وأنس -بن ملك- وبريدة وابن عباس ستة عشر نفساً - صحابياً.اهـ، ورد أيضاً من حديث الحسن بن علي، ونقل أيضا في فيض القدير وفي التيسير عن السيوطي أنَّه متواتر"، وصرّح بتواتره الألباني (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح٧٩٦، ج٢، ص٢٩٥) قال: "وبالجملة فالحديث صحيح بلا ريب، بل هو متواتر كما نقله المناوي وكذلك الزيادات فهي صحيحة ثابتة. وممَّن صرَّح بتصحيح أو تحسين بعض طرقه الحاكم النيسابوري .. من طريقٍ عبد الله بن مسعود (رض) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما" ثمّ قال هذا حديث صحيح بهذه الزيادة، ولم يخرجاه (الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٧) ثمَّ قال: وشاهده ما حدثناه أبو الحسن بسند ذكره إلى ابن عمر (رض) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما". وعلّق الذهبي على سند الحديث من طريق ابن مسعود بقوله: صحيح (الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين "تعليقة الذهبي"، ج٣، ص١٨٢)، وأورد الحديث أيضاً بسندٍ آخر عن زر بن حبيش عن حذيفة عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: أتاني جبرئيل (عليه السلام) فقال: إنَّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ثم قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "غفر الله لك ولأمك يا حذيفة" وعلَّق الذهبي على سند الحديث بقوله: صحيح (الحاكم النيسابوري، المستدرك على

الصحيحين، "تعليقة الذهبي"، ج٣، ص٤٢٩). ومنهم: الترمذي بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة". وقال: حدثنا سفيان بن وكيع أخبرنا جرير وابن فضيل عن يزيد نحوه ثم قال الترمذي: هذا حديث صحيح حسن (سنن الترمذي، ج٥، ص٣٢١). وعلَّق الألباني بقوله: صحيح (الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج٨، ص٢٦٨)، وأورد الترمذي الحديث بسندٍ آخر عن حذيفة قال: ".. فأتيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فصليت معه المغرب فصلَّى حتى صلى العشاء، ثمّ انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال من هذا حذيفة؟ قلت نعم. قال ما حاجتك غفر الله لك ولأمك؟ قال إن هذا ملك لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربَّه أنْ يُسلِّم عليَّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريب من هذا الوجه (الترمذي، سنن الترمذي، ج٥، ص٣٢٦)، وعلّق الألباني بقوله: صحيح (الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج٨، ص٢٨١). ومنهم: ابن حبّان، فقد أورد الحديث من طريق أبي سعيد وطريق حذيفة (ابن حبّان، صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٤١٢-٤١٣)، قال العجلوني: رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رفعه وقال حسن صحيح، وهو عند أحمد وصححه ابن حبان والحاكم (العجلوني، كشف الخفاء، ج١، ص٣٥٨) ومنهم: الذهبي (الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٩٦) قال: وعن حذيفة قال: قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "جاءني جبريل، فبشَّرني أنَّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" قال: رواه أحمد في مسنده بإسنادٍ حسن، وروى نحوه من حديث ابن عمر، وعلي بإسنادين جيدين. وأقرَّ الذهبي بتصحيح الترمذي للحديث من طريق أبي سعيد الخدري وتحسينه للحديث من طريق حذيفة بن اليمان (الذهبي، تاريخ الإسلام، ، ج٤، ص٣٥-٣٦) وكذلك أقرّ بتصحيح الترمذي للحديث من طريق أبي سعيد الخدري، وتحسينه من طريق حذيفة (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣،

ص٢٥١-٢٥٢)، وأقرَّ بذلك ابن كثير (ابن كثير، البداية والنهايـة، ج٨، ص٢٢٤-٢٢٥)، ومنهم: الهيثمي، قال: وعن البراء يعني ابن عازب قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة" قال: رواه الطبراني واسناده حسن (الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص١٨٤)، ومنهم: الصالحي الشامي (الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج١١، ص٤٦)، قال: وروى الإمام أحمـد وأبـو يعـلى برجال الصحيح والترمذي من غير ذكر فاطمة ومريم (عليه السلام) عـن أبي سـعيد (رض) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلَّا ما كان من مريم بنت عمران".، ومـنهم: الألبـاني في كتابه صحيح وضعيف ابن ماجه الذي رواه بسنده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خـير مـنهما" علق عليه بقوله: صحيح (الألبـاني، صـحيح وضـعيف ابـن ماجـه، ج١، ص١٩٠) وقال في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير معلِّقاً على ما أخرجه السيوطي وابـن عساكر عن علي وعن ابن عمر صحيح (صحيح وضعيف الجامع الـصغير، الألبـاني، ج١، ص٤٧) وكذلك صحَّح الحديث من طريق كلٍّ من قـرة ومالـك بـن الحـويرث وابن مسعود وابن عمر من تخريج الـسيوطي (الألبـاني، صـحيح وضـعيف الجـامع الصغير، ج١٣، ص٤٤٠)، وصحَّح كذلك في كتابه صحيح وضعيف الجامع الصغير المتون التالية:

١. أتاني جبرئيل فبشرني أن الحسن والحسين سـيدا شـباب أهـل الجنـة" مـن تخـريج السيوطي وابن سعد عن حذيفة.

٢. أمَّا رأيت العارض الذي عرض لي قبل قلت بلى قال هو ملك من الملائكة لم يهـبط إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة استأذن ربّه أن يسلم علي وبشرني أنَّ الحـسن والحـسين سيدا شباب أهل الجنة، وأنَّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة" من تخريج السيوطي.

٣. إنَّ هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلـة، اسـتأذن ربّـه أن يـسلّم عـلي

أهل السنة، والجماعة وبين النواصب ذي الهوى الأموي، أو اليزيدي البغيض.

لذا غنيٌّ عن القول إنَّ الحسين لا يعدُّ بطلاً يستأثر به الشيعة وحدهم، ولكنَّه بطلٌ وشهيدٌ عند أهل السنة أيضاً، ورمزاً إنسانياً للثورة على الظلم والظالمين في كلّ مكانٍ وزمانٍ. إنَّ إظهار وإبراز التضحيات الكبرى التي قدّمها الحسين (عليه السلام)، وأهل بيته في سبيل الحقّ توجيه للمجتمع روحياً وفكرياً، ووجدانياً وأخلاقياً، وتحفيزاً له نحو تقديم التضحيات، وإبقاء روح الرفض للظلم، والفساد والانحراف حيّة في النفوس..

كربلاء المعاصرة المتجدّدة

"..لم تعد كربلاء مجرَّد بقعةٍ من الأرض في جنوب العراق، ولم يعد عاشوراء مجرد مقطع زمني سنة (٦١هـ)، بل تحوَّلت كربلاء بعد شهادة الإمام الحسين إلى عنوانٍ لكلّ ميدان صراعٍ بين الحقّ والباطل، وأصبحت

ويبشرني أن ّفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" من تخريج السيوطي (الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج١، ص٦٣، ج١، ص٧٩، ج٦، ص١٥٥، ج٩، ص٤٦٧). وعلَّق على ما أخرجه السيوطي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): "إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة" من طريق كلٍّ من أبي سعيد الخدري وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبي هريرة وأسامة بن زيد والبراء بن عازب وعبد الله بن مسعود، علَّق على مجموع هذه الطرق بأنها حسنة (الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير، ج١٢، ص٤٣٨). هذه أقوال بعض المحدّثين في سند الحديث وهي جهد غيري في التخريج وليست جهدي الخالص جزاهم الله خيراً لكنني توثّقت من مظانها، وفي هذا غنىً لمن ألقى السمع وهو شهيد.

عاشوراء لحظةً متجدّدةً تطلق على كل زمنٍ تتألّق فيه مواقف الصمود والتضحية؛ من أجل قضايا الحريّة، والعدل كما نشاهده في غزة والضفة الغربية، بل وحتّى الداخل الفلسطيني، وصحراء النقب حتّى قِيل: كلُّ يوم عاشوراء وكلُّ أرض كربلاء.

وبهذا الاعتبار فإنَّ الصراع مع الصهاينة اليوم، يجعلنا أمام كربلاء معاصرة، وعاشوراء جديد، حيث تقف إرادة الشعب الفلسطيني مع إرادة أبناء محور المقاومة شامخةً صامدةً تقدّم الضحايا والقرابين، أمام قوة الجور، والظلم الصهيوني المتكئة على دعم أمريكا وحمايتها. وكما أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) عزمه على الثبات والمقاومة مع اختلال التوازن العسكري بينه وبين الجيش الأموي قائلاً: ".. ألَا وإنّي زاحفٌ بهذه الأسرة مع قلَّة العدد، وخذلان الناصر.."[١] فإنَّ الفلسطينيين العزّل المحدودي الإمكانات والقدرات، يعلنون الآن تمسكهم بحقّ مقاومة الاحتلال والطغيان، مع قلَّة الناصر إلَّا من الجمهورية الإسلامية، وأبناء المحور المجاهدين الشرفاء.

وكما تعالت صرخات الحسين في صحراء كربلاء: أمَا من مغيثٍ يغيثنا؟ أمَا من معينٍ يعيننا؟ أمَا من ذابٍّ يذّبُ عن حرم الله وحرم رسوله؟[٢] فإنَّ نساء فلسطين وأطفالها اليوم، وهم يعيشون أبشع المآسي والفجائع، يستصرخون ضمير العالم، ويستثيرون همم العرب والمسلمين، للوقوف معهم في وجه الاحتلال الوحشي الذي لا يزال قابعاً على صدور الفلسطينيين.

---

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٩، ح٣٥٤٣.
(٢) القندوزي، سلمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٣، ص ٧٥.

إنَّ ثورة الحسين يجب أن تشكّل مصدر إلهامٍ لأبناء فلسطين الغيارى، ترفع معنوياتهم، وتشحذ هممهم، وتقوي إرادتهم، كما تقدّم للأمَّة الإسلامية درساً بليغاً، في التحذير من خذلان الحقّ، والسكوت أمام عربدة الباطل والجور[١]، وكما أثمرت شهادة الحسين، ومآسي عترته، مجداً خالداً ونصراً ظافراً، طمس ذكر الأمويين ومحى باطلهم، فإنَّ تضحيات الشعب الفلسطيني اليوم، وملاحم بطولاته الحاضرة تصنع الآن مستقبل النصر والتحرير للقدس الشريف، وتشقُّ طريق العزة والكرامة، أمام شعوب الأمة العربية والإسلامية إن شاء الله.

وكما قرَّت عيوننا بتحرير جنوب لبنان وقطاع غزة، واندحار جيش الاحتلال الصهيوني، على أثر تضحيات المقاومين، فإنّنا على موعدٍ قريبٍ مع نصرٍ جديد – إن شاء الله – على أرض فلسطين باستمرار المقاومة الفلسطينية بكافَّة تياراتها، وتضحيات المجاهدين الغيارى وإسناد الأبطال والجنود المجهولين من شباب جبهة المقاومة، وما ذلك على الله بعزيز.

موكب نداء الأقصى في قلب كربلاء المقدسة

في الأشهر الأخيرة الماضية شدني مشهد ثلَّةٍ من شيوخ الدين الفلسطينيين شاركوا في مسيرة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء

(١) هذا المضمون يتفاعل معه المثقفون المخلصون، وأتذكر أنَّني أرسلت قبل عشرين عاما مقالة حول كربلاء المعاصرة لجريدة السبيل الأخوانية في الأردن، فلم تنشر في البداية، ثمَّ تكلمت مع المشرف العام القيادي الإسلامي سعود أبو محفوظ عبر الهاتف، وعندما وجدني أتحدّث بهذا المنطق دعاني إلى مكتبه، وكان حواراً بنَّاءً توصلنا فيه إلى ضرورة الوحدة الإسلامية، ثمّ تفضل بقبول نشر المقالة في الأسبوع التالي.

١٤٤٣هـ، وما أجمل مشهدهم! فوحدة المقاومة الإسلامية بكل محاورها يبدأ من الاستلهام من حفيد رسول الله محمد (صلّى الله عليه وآله)، إذ رفعت صور شهداء المقاومة الفلسطينية (أحمد ياسين وفتحي الشقاقي ويحيى عياش وآخرين..) بين الملايين الزائرة، كما رفعت شعارات تحرير فلسطين والقدس والتأكيد على مركزية القضية الفلسطينية، مشهدٌ أغاظ المحتل الأمريكي، وأذنابه في العراق، وهاجمته وسائل الإعلام المتصهينة والمتسعودة وقد أغلق الفيس بوك صفحتي بالكامل بعد ١٤ عام على إنشائها؛ لأنّني فقط أشرت وروَّجت لهذه المشاركة! ما يعني أنَّ الحزب الإسرائيلي العالمي متحسّسٌ من الإلهام الحسيني، وخاصَّة للفلسطينيين، والخطر أيضاً وحدة الروح الإسلامية تجاه ذلك، وأن يشارك فلسطينيون في إحياء ثورة الحسين ونهضته رغم العقبات، والتحديات مُلَّبين نداء ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) (هيهات منا الذلة) الشعار الذي ألهم الإنسانية، رفض الظلم والخضوع، فهو والله المارد المرعب على كيان الاحتلال، ومن ورائه كلّ قوى الاستكبار، فثورة الحسين (عليه السلام) لمن وَعيَها ملهمةً تصنع الأحرار والبطولة، وتفجّر في كوامن النفس التضحية والفداء في مواجهة المغتصبين والمحتلين.

وهذه المشاركة الفلسطينية على تواضعها، بهذا الوعي وجهَّت رسالةً من عراق الحسين بن علي (عليهما السلام) بأنَّ تحرير الأقصى الشريف ليس بالبعيد لإزالة هذا الكيان الغاصب.

وما أجمل ما قدمهم به أحد المستقبلين من شباب الحشد الشعبي العراقي[1]:

---

(١) الحشد باللغة تعني التعبئة، والشعبي نسبة إلى الشعب يعني (التعبئة الشعبية)،

"..حضروا حاملِين قضيةَ فلسطين ... جاؤوا، وعلى دروب رفض الظلـم... في كربلاءَ ساروا، بهُتافاتِ الإباءِ صدَحُوا، وشعارَ الوَحْدةِ رفَعُوا، هُـمْ علـماءُ منْ فِلَسطينَ أتَوا، يطوون قهر الاحتلال بعمائمِهِم، هي فِلَسطين القضية، مبتدأ السعي وخبرُه، وتلك كربلاءُ الملحمـة، أرضُ الإرادة وشـاهدُها، وبـينَ هـذه وتلك، حبل العزيمة عقَدُوا، ونداءَ الأقـصى ... رفَعُـوا.. وهـذا جانـب مـن تفاعل الشباب العراقي معهم[1]، وهم أبناء الشعب المظلوم المسحوق بـسبب يزيد العصر: الاحتلال الأمريكي، وسياساته المدمّرة في العراق..

ألم نتعلم من المحنة بعد؟

أصل هذا المصنف المتواضع مقالةٌ بعنوان (كربلاء الفلسطينية) نـشرتها في صحيفة اللواء الأردنية الأسبوعية بصفحة كاملة، كتبتها صـدقة عـن روح الأستاذ الكبير المفكّر الإسلامي المرحوم حسن التل الذي توفّي سـنة ٢٠٠١ م بطهران خلال حضوره أحد المؤتمرات الإسلامية العالمية، ونقل جثمان الفقيـد إلى العاصمة الأردنية عمّان بطائرةٍ خاصَّةٍ بأمر من قائد الثورة الإسلامية السيّد الخامنئي؛ تقديراً لجهود التلّ (رحمه الله) في التقريب والوحدة الإسلامية.

والحشد في العراق هو قوة شعبية كبرى ولدت من رحـم الفتـوى الجهاديـة للمرجـع الكبير آية الله السيستاني عندما احتل تنظيم داعش الإرهابي بتواطؤ أمريكي سـعودي مساحات شاسعة من العراق ووصل التنظيم التلمودي إلى أطراف بغـداد وكـربلاء، وقد استلهمت التجربة من التعبئة الجهادية للشباب الإيراني حيث قال رئـيس وزراء العراق في حينها نوري المالكي: لقد اتخذنا التعبئـة الإيرانيـة نموذجـاً لهيكلـة الحـشد الشعبي العراقي.

(١) كما أظهرت مقاطع الفيديو على اليوتيوب.

المرحوم التل كان إذا ذكرت كربلاء يتنفس الآه حزناً وحسرةً على آل الرسول (صلّى الله عليه وآله)، وله فضلٌ كبيرٌ عليَّ لجهة نبذ التعصب الفكريّ والانفتاح على المسلمين جميعاً. لقد زرته عدة مرات في مقرّ الصحيفة بجبل عمان، وقام بنشر بعض مقالاتي، وما زلت يومها طالباً في المرحلة الثانوية، كما كانت الصحيفة تنشر الكثير من المقالات والأبحاث، وبأقلام علماء من كافَّة المذاهب الإسلامية، ما ساعدنا أن نتربى بهذه الروحية حيث كنت أقتني هذه الصحيفة، وأحرم نفسي من شراء (سندويشة إفطار المدرسة) بعض أيام الأسبوع؛ كي أوفر ثمن شراء اللواء، التي كنت أفضلُّها على صحيفة الرباط، ومن ثمَّ السبيل الإخوانيتين.

أشير لذلك لأنّي أتذكر مقالة الأستاذ الصديق حسين الرواشدة في اللواء أواخر التسعينيات المنشورة تحت عنوان: من كربلاء إلى قانا ... لم نتعلم من المحنة بعد، وعندما عدت لإنجاز هذا الكتاب دائماً كان في فكري أن أثبت تلك المقالة بقلم الأستاذ الرواشدة، ولكنّي فقدت الكثير من أرشيف اللواء الذي كنت أحتفظ به، لكنَّ الأخ الرواشدة زودني مشكوراً بالمقالة، وأنشرها هنا لفائدة المقاومين:

من كربلاء إلى قانا ... لم نتعلم من المحنة بعد

واقع الأُمّة بين السلّة والذلّة...

عاشوراء: دروسٌ في البيعة، والصلح والثورة ضد القهر والهوان.

الحسين: لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد

...أمّا الذين يتطوعون ـ اليوم؛ لتحريف الواقع وتسويغه وفق بوصلة مصالحهم وأهدافهم، فمطالبون بقراءة تاريخ عنوانه (كربلاء)، وأمّا الذين

يبحثون عن لغةٍ جديدة؛ لتضليل الشعوب باسم الراحة والسمن والعسل وتكتيك المهادنة، ويحذرونهم من عبثية المواجهة، ويدعونهم إلى شرعية الصلح المتصل بحبال المصلحة الوطنية التي غالباً ما تتحول في أيدي السحرة إلى حياة مخيفة...

هؤلاء مدعوّون لزيارة الحسين بن علي (كرم اللهّ وجهيهما) في مثل هذا الموسم من عاشوراء.. لفهم معادلة الصراع بين الحقّ والباطل، وإدراك قضية العدالة المرتبطة بالعبودية الخالصة الله، فعاشوراء ما زالت تتجدد في كيانات هذه الأُمة ثورة ضد الاضطهاد، يتمثّلها الأجيال كفاحاً وتمرّداً ضد الواقع الحزين وتنطق بها الأرض دماً لا يهدأ، وروحاً تستأنس بالشهادة كما يستأنس الطفل بمحالب أُمّه لا مجرد حماسٍ وانفعالٍ وثورةٍ عاطفيةٍ تشتعل ثمّ تخمد...وإنّما فكرٌ متعلق بالله وعمل شعاره: (هون ما نزل بنا، انّه بعين الله) وإرادةٌ مستمدةٌ من الحسين بن علي شهيد كربلاء، وهو يصعد إلى السماء، ودمه في كفه مردِّداً: (هكذا أكون حتّى ألقى الله وجديّ رسول الله عليه الصلاة والسلام..).

محنة الحسين بن علي التي تتردّد أصداؤها اليوم في ذاكرة الأُمة الضالة؛ لتعيد إليها تاريخها المستباح، وتوقظ فيها مشاعر الكرامة والثورة ضد الظلم والطاغوت... تعلّمنا كيف نمدُّ أيدينا لنصافح، أو نعاهد أو نعاقد، وكيف نسحب أيدينا حين تكون المسألة متعلّقة بالعزة والكبرياء والأنفة، وحين تحسُّ النفس المؤمنة بأنَّ عقد الصلح قيد لإذلالها، وإذعانها لشرعية الطاغوت يعلّمنا الحسين بن علي الذي تربّى في حضن جدّه المصطفى كما تربّى والده علي (كرم اللهّ وجهه) منذ ولد في كنف ابن عمه (عليه السلام) كيف نحافظ على

بساط التفاوض مع الأعداء ونسحبه حين يكون الإقرار إقرار العبيد، ونرفضه حين يكون استجداء كإعطاء الذليل الذي يشعر بانسحاق إرادته أمام سيده ... فالعزة ليست في المنصب والمال ولا في «السلة» التي يوهمنا بها أدعياء الرفاه والاستقرار، ولكنّها بمقدار ما يملك الإنسان من إرادةٍ وعزيمةٍ، وبمقدار ما يرتفع إليه من إيمانٍ وشجاعةٍ والتزام.

أين نحن اليوم من حكمة شهيد كربلاء، ومحنته المليئة بالدروس والمواقف؟

إنَّ الذين يقرأون هذه المحنة التي واجهها الهاشميون من آل عترة المصطفى (عليه السلام) سيدركون - لا ريب- حجم القوة الإيمانية التي تدفع اثنين وثمانين رجلاً وامرأة؛ للوقوف مع الحقّ في وجه أكثر من اثني عشر ألفاً من جيش يزيد بن معاوية... وتجعلهم مع محارمهم اللواتي ما هتك لهنَّ سترٌ قطّ يواجهون عطشاً وحصاراً، وظلماً وجبروتاً يقع بعده الشهيد تلو الشهيد من أبناء الحسن، وجعفر وآل أبي طالب أحفاد رسول الله (عليه السلام) دون أن يدفعهم ذلك إلى قبول «الذلة» ومبايعة يزيد "بالخلافة"..

درسٌ في البيعة إذاً، ودرسٌ في قبول الصلح، والانسياق خلف سلال الغنيمة ... فما الذي دفع الحسين إلى رفض السلّة مع الذلّة معاً؟ السرُّ في ذلك يلّخصه رضي اللهّ عنه في إحدى خطبه فيقول: "... لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد، أَلَا إنَّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلَّة والذلَّة وهيهات منّا الذلَّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وأنوفٌ حمية وجباهٌ أبية[1] ..".

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري ج٣، ص٣٢٣.

والسرُّ في ذلك يعرضه مرة أُخرى «جون» مولى أبي ذر الغفاري حين أشار عليه الحسين بن علي أن ينتحى عن المشاركة في قتال (عاشوراء) فيجيبه جون[١]: لا واللهّ... أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟! واللهّ لا أُفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم... فأذن له الحسين حتّى استشهد بعد أن قتل خمسة وعشرين رجلاً.

هو إذاً درسٌ في امتحان الصحابة، وفرزهم عن جموع الموظفين الذين يتزاحمون ساعة الطمع ويفرون ساعة الفزع...والقائد هنا لا يكذب على أتباعه بالشعارات، ولا يصفهم في طوابير بالحديد والنار ليقاتلوا دونه، ولكنَّه يصارحهم بالحريّة في البيعة والوضوح في القصد، فالبطولة ليست بهلواناً

(١) بحسب عدّة مصادر تاريخية هو جَون بن حَوِيّ، كان عبداً مملوكاً اشتراه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثمّ وَهَبه لأبي ذرّ الغِفاريّ، بقي مع الحسن بن عليّ بعد استشهاد أبي ذر، ثمّ انضمّ إلى الحسين (عليه السلام) وصَحِبَه في سفره إلى مكّة ثمّ إلى العراق، من شهداء كربلاء، وهو من الشهداء الذين وقف عليهم الحسين، ودعا له بالخير، سمع من الحسين (عليه السلام) إذْنَين: الأوّل ـ عامّ للأصحاب بالانصراف: انطلِقُوا جميعاً في حِلّ، ليس عليكم منّي ذِمام، هذا الليل قد غَشِيَكم فاتَّخِذوه جَمَلاً، فأبَوا جميعاً .. مُقْبِلين على الشهادة. والإذْن الثانيّ ـ خاصّ لبعض الأصحاب بالانصراف .. كان منهم جَون، حيث قال له الحسين عليه: أنت في إذْنٍ منّي، فإنّما تَبِعْتَنا طلباً للعافية، فلا تَبْتَلِ بطريقنا، فماذا أجاب جون إمامه؟ قال له: يا ابن رسول الله، أنا في الرخاء ألحَسُ قِصاعَكم وفي الشدّة أخذُلُكم؟! والله إنّ ريحي لَنتِن، وإنّ حَسَبي لَلئيم، ولوني لأسوَد، فتَنَفّسْ علَيّ بالجنّة فتطيبَ ريحي، ويَشرُفَ حَسَبي، ويَبيضَّ وجهي، لا والله لا أُفارقُكم حتّى يختلطَ هذا الدمُ الأسود مع دمائكم (رضي الله عنه).

والمعركة ليست قتالاً مجرداً من العقيدة والرسالة والإرادة.

وهو درسٌ للـذين يتسابقون بـدافع القـوة مـن قـوَّة الآخـر وهيمنتـه وجبروته؛ للسجود بين يديه، والاضمحلال فيه؛ لخدمة مصالحه، واستناداً إلى الواقع بمنطقه المعكوس؛ لتبرير هـذا الانجـرار، هـؤلاء لم يـسمعوا «حنظلـة الشبامي» وهو ينادي على الحسين: «صدقت يا ابن رسول اللّه أفـلا نـروح إلى الآخرة...»، ولم يصغوا للشيخ الطاعن في السنّ «أنس الكاهلي[1]» الذي رأى

(١)هو أنس بن الحارث بن نبيه بن كاهل الأسدي، كان صـحابياً كبـيراً ممـن رأى النبـيّ (صلّى الله عليه وآله) وسمع حديثه، وكان فيما سمع منه وحدّث به، ما رواه جمّ غفير من المحدثين، أنَّه قال: سمعت رسول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) يقـول والحـسين في حجره: «إنَّ ابني هذا يقتل بأرض من أرض العراق. ألَا فمن شهده فلينـصره»، فلـما رآه أنس في العراق وشهده، نصره واستشهد معه، لقد حدث النّبـيّ (صـلّى الله عليـه وآله) الأجيال الآتية عبر أهل البيت (عليه السلام)، وأمّهات المؤمنين، والصّحابة عن ما سيجري على ولده الحسين، ما يعني أنه أقام العزاء عليـه حتـى قبـل استـشهاده في تأسيسٍ نبويٍّ إعجازيّ، وقد حولت بعض روايات عن أم سلمة، وابن عباس بنفس المضمون إلى نصٍّ سينمائي قابل للتصوير لعلّني أوفق في التواصل مع أحد المخـرجين لانجازه، وهنا نثبت ما جاء عن الصحابي الجليل أنس الكـاهلي الـذي استـشهد مـع الحسين يوم كربلاء، قال المحقّق الشيخ محمّد باقر المحمـودي: "أورد "البخـاري" في ترجمة "أَنَس بن الحارث" تحت الرقم: "١٥٨٣" من (التاريخ الكبـير، ج٢، ص٣٠) قال: وأَنَس بنُ الحرث قتِل مع الحسين بن عـليّ. سـمعَ النبـيّ (صـلّى الله عليـه وآلـه) يقول: إنَّ ابني هذا – يعني الحسين– يُقتَل بأرضٍ يُقال لها كربلاء، فَمـن شـهِد ذلـك منكم فَلْينصُره". وأورد العلّامـة المحمـودي في تحقيقِـه لـسيرة الإمـام الحـسين مـن (تاريخ) ابن عساكر بعد أنْ أوردَ الرّواية المتقدّمة قال المحمودي: ورواه عنه ابن حَجَر

النبيّ وسمع حديثه، وشهد معه بدراً وحنيناً وقد برز رافعاً حاجبيه بالعصابة، ومقاتلاً دون الحسين حتّى استشهد.

لم تكن قلَّة العدد إذاً معياراً للهزيمة أو الانكسار، ولم يكن الانكسار مؤشّراً لاندحار الحقّ وغلبة الباطل... ولم تكن الهزيمة، والغلبة مدعاةً للرضوخ والاستسلام، وما كان الصادقون آنذاك قصراً عن تبرير الواقع وتسويغه؛ ليناسب حجم المحاذير، والرغائب كان (الحسين بن علي) وقد أقفل عائداً من مكة إلى كربلاء بعد أن قطع الحج وترك الذين ينتظرون خطبته على عرفة... كان يدرك، وهو يصارح من انسحب خلفه من القوم انّ كثيراً منهم لا يريد سوى الدنيا، وكان صادقاً معهم وهو يقول عشية السفر: «ألَا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء اللهّ نفسه، فليرحل معنا فانّي لا أرى الموت إلَّا سعادةً والحياة مع الظالمين إلَّا برماً...» وقد انسحب عنه الكثيرون بعد أن أدركوا حقيقة ما قاله الفرزدق «قلوبهم معك وسيوفهم عليك» وبقي

في ترجمة أنس بن الحرث تحت الرّقم: " ٢٦٦ " من الإصابة، ج١، ص٦٨. ثمّ قال: ورواه البغوي وابن السّكن وغيرهما "..." ورواه أيضاً أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوّة، ص٤٨٦ "..." قال: فقتِل أنَس مع الحسين (عليه السلام). ورواه أيضاً عمر بن خضر بن محمد المعروف بـ" ملّا " في وسيلة المتعبّدين. ورواه عنه في ذخائر العقبى ص ١٤٥. وأشار إليه أيضاً أبو عمر في ترجمة أنَس بن الحارث من الاستيعاب بهامش الإصابة، ج١، ص٧٤. ورواه أيضاً في ترجمة الإمام الحسين من البداية والنهاية: ج ٨، ص١٩٩. ورواه أيضاً ابن الأثير في ترجمة أنس بن الحارث تحت الرقم: " ٤٦ " من أسد الغابة، ج١، ص١٤٦. ورواه أيضاً في ترجمة أبيه: الحارث بن نبيه تحت الرقم: " ٩٧٠ " ج١، ص٤١٧ "..."ورواه أيضاً السيوطي في الخصائص الكبرى، ج٢، ص١٢٥، (وغيرهم العديد).

القلة من الذين كان حاديهم يقول: «لوددت أنّي قتلت، وأحرقت ثمّ أحييت يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما توانيت عنك".

درسٌ في ترسيم العلاقة مع الله... العلاقة الدائمة غير الرسمية، أو الموسمية مع أوامر الخالق... العلاقة التي لا تقتصر على طقوس الصلاة والصيام فحسب بل تتعداها إلى كلّ ما يدور في حياة المسلم وما يتعلق بواقعه داخل المسجد وخارجه، وهو درسٌ غائبٌ عن هذه الجماهير التي استهلكتها الحياة المادية بشهواتها، وعوارضها... درسٌ يندر اليوم أن يتجسَّد في «نموذج» يقارب ولو من بعيد نموذج الحسين، وصحابته الذين ماتوا دفاعاً عن حقِّهم في الكرامة والشهادة.

ما أحوج الأُمة اليوم، وهي تضع رقبتها على حدّ المقصلة، وتدافع عن كرامتها بمزيد من التبعية والاستسلام، وتتسَّرب من خلايا أعدائها وعيونهم لتخنق شعوبها... ما أحوجها إلى وقفة مع «عاشوراء»، وما تجسد من فكرٍ في التضحية والالتزام بالحقّ، ومواجهة الباطل وجنوده... والاستعلاء على وسخ الواقع وطين الوعود، والخوف على شهواته الزائلة..

فمن قال إنَّ مصلحة الأُمّة في الراحة والذلة؟ ومن قال إنَّ مصلحة الوطن في حسن التعامل مع الواقع المهين بمفرداته، وآلياته وشروطه التي يمليها القوي على الضعيف...؟ ألم يمتحن رسول الله صحابته حين أرسل بعضاً منهم إلى قلعةٍ ضخمةٍ لبلوغها، وحين عادوا مقرين بضعفهم وجبنهم قال لهم محمد (عليه السلام): «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه[1]...".

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل ج١، ص٩٩.

فأوّل شروط نبذ الضعف، والجبن الذي يسوغه البعض تكتيكاً، وخروجاً من مأزق الواقع هو محبة اللهّ ورسوله... ولكن أين الذين يحبّهم اللهّ وأين الذين يحبّونه ورسوله في عالمنا هذا المهزوم؟ وأين الذين قال فيهم علي بن أبي طالب «من أحد سنان الغضب للهّ قوي على قتل أشداء الباطل[1]"...

إنّ الذين نخشاهم اليوم يحدّون سيوفهم للقضاء على شعوبهم، ويغضبون إذا غضبت أمريكا، أو إذا زمجرت إسرائيل...الذين نخافهم ممن يعطون أنفسهم مراسيم القومية، والخوف على مستقبل الأُمة يحرسون ثغور ومصالح غيرهم، فأين منا الحسين وأين كربلاء التي تجسد في أعماقنا أكبر ثورة إنسانية ضد الخنوع والقهر لآلة الاستبداد، واستيطان الإرادة، والانحناء لغير اللهّ عزّ وجلّ ... .

كيف يمكن لهذه الأُمّة أن تعيد مرّةً أُخرى (عاشوراء) إلى مِنصتها الخالدة، لتنفض عنها غبار «الذلّة»، وتمسح دماء أطفال «قانا[2]» التي لم تجف

---

(١) نهج البلاغة، محمد عبده ج٤، ص٤٢.

(٢) في الفترة ما بين ١١ نيسان و٢٧ نيسان ١٩٩٦م شنَّ الكيان المؤقّت عدواناً عسكرياً على لبنان، قُتل وجُرح خلاله العشرات، وقصفت أثناءه عدداً من المدن والبلدات اللبنانية من بينها العاصمة بيروت، وأطلقت (إسرائيل) على تلك العملية "عناقيد الغضب"، وفي يوم الـ ١٨ من الشهر نفسه؛ ونتيجة لكثافة ودموية القصف، لجأ مئات اللبنانيين معظمهم نساء وأطفال هرباً من جحيم القصف إلى مركز تابع لقوات الأمّم المتحدة بقرية قانا؛ ظناً منهم أنَّها ستحميهم، وأنَّ الكيان المتوحش سيمتنع عن ملاحقتهم، وقتلهم في مركز أممّي محمي بموجب القوانين والمواثيق والأعراف الدولية، ولكنَّ (إسرائيل) – وكعادتها– لا تمنعها قدسية المكان، ولا حرمة الزمان –

بعد... كيف يمكن أن يقف الشعب خلف قيادته وأن يعلن رجل يصارع الموت كما أعلن «مسلم بن عوسجة» في حضرة «الحسين بن علي» وصيته لصديقه...وما هي وصيته؟ يقول حبيب بن مظاهر:

"لما صرع مسلم بن عوسجة مشى إليه الإمام الحسين وكنت معه، وجلسنا عنده، وهو يحتضر قلت له: والله لولا أن أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي فإنَّ الصديق يوصي صديقه لحظة الاحتضار، يوصيه بأهله، وعياله ولكَّن مشكلتي أنّي سأموت من بعدك، وسأسير في نفس الطريق...فقال له مسلم: لي وصية تستطيع أن تنفذها الآن...؟ قلت: وما هي وصيتك؟ قال: أوصك بهذا، وأشار بيده للإمام الحسين بن علي: جاهد دونه حتّى تموت.

ومادام هنالك قضيةٌ عادلةٌ، وحقٌّ يقابل باطلاً ليدحضه، فالموت ليس مهماً، والدم أقرب اللحظات التي توصل الأرض بالسماء ألم تسمع ماذا قال «علي الأكبر» ابن الإمام الحسين، وهويرى أنفاس والده تعانق السماء، وقد ظلَّ يكرر (إِنّا لله وَإِنّا إِليهِ راجِعُون): يا أبتاه لم تسترجع؟ فأجابه: يا بني عنَّ لي فارس، وأنا في المنام يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير خلفهم، فعلمت أنَّ نفوسنا نعيت إلينا، قال علي: يا أبتاه ألسنا مع الحقّ؟ قال الحسين: بلى والذي نفسي بيده. قال علي: لا نبالي يا أبتاه – إذن– أن نموت محقّين.

ولكن كيف يمكن لأطفالنا أن يتساءلوا عن قضيتنا؟ وكيف يمكن لنا

دينياً أو قانونياً– من ارتكاب جرائمها، ومجازرها بالطريقة التي تحلو لها، وبعد الثانية ظهراً بقليل يوم ١٨/ نيسان صوّبت إسرائيل المعتدية مدافعها نحو الكتيبة الفيجية التابعة للأمم المتحدة –حيث يحتمي مئات المدنيين– فقتلت منهم ١٠٦، وأصابت نحو ١٥٠ شخصاً بجروح وعاهاتٍ وإصاباتٍ بدنيةٍ، ونفسيةٍ متفاوتة الخطورة.

نحن التعساء أن نجيبهم؟ لقد علَّم الحسين ولده درس نعلم أبناءنا درس التضحية، ونحن نسبل رموشنا لاستقبال خيرات العهد الشرق أوسطي الجديد؟

كيف يمكننا أن نقنع أجيالنا بأنَّ الذي ندافع عنه هو الحقُّ...؟ الذي يجب أن يدافعوا عنه ويصونونه، أي حقٍّ هذا الذي استعدناه وأيُّ تضحيةٍ تلك التي قطفنا ثمارها بعد سيل الهزائم، والانكسارات ...؟

يا الله...

ماذا يحدث لهذه الأُمّة التي تحوَّلت إلى قطيعٍ تائهٍ...؟ ماذا يحدث لهذه الأجيال التي مسخت تاريخها...؟ ماذا يحدث وقد غابت المرجعيات وتحوَّل معظم العلماء إلى سدنةٍ في بلاط السلطة، وعبيدٍ في أقبية السلاطين؟ وقد فقدت الحركات مبررات وجودها، واستمرأت اللعبة، فاشتغلت في شؤون الحيض، وتنظيف الفرج واللسان بدعوى السماحة، والنظافة والاعتدال، وانتظار فرج السماء. يا الله...

إذا كان القوم قد تركوا حفيد رسولك «الحسين بن علي» وحيداً أعزل إلَّا من الإرادة والإيمان، واثنين وثمانين رجلاً وامرأة... وشهدوا على دمه الطيب بعد أن منعوه وعياله الماء، وهو يصعد في كفَّة السماء...فمن يستطيع في زماننا أن يحمل راية حملها الحسين؟ ومن يتبقى معه من أُمَّةٍ نخر عصبها الفساد، والتعب والضلال؟.

أمَّا نحن فلا نملك إلَّا أن نقرأ «كربلاء»، وأن نتوقف بقلوب أدمنت الحزن ومرارة «المحنة» على معنى المكابدة من أجل رضى الله، ومعنى التضحية بكلّ شيء من أجل الحقّ... ومعنى الإيمان الخالص بالقضية العادلة، والدفاع

عنها مهما غلا الثمن.

نقرأ عاشوراء... مرَّةً تلو مرّة؛ لنحدّد أهدافنا ونوضحها، ونميز بين الصحابة والموظفين، بين المؤمنين بدينهم، وأوطانهم والمندسين طمعاً في الغانم، بين المرتبطين عقلاً وروحاً بالإسلام وبين المرتبطين عاطفياً، وموسمياً به عبر الفاكسات والبيانات.

ونعيد إلى ذاكرتنا محنة «الحسين» وأصحابه، فالحسين ليس ملكاً لفرقة دون فرقة، وعاشوراء ليست مناسبةً دينيةً لمذهبٍ دون آخر....الحسين هو معلُّمنا جميعاً وعاشوراء وكربلاء مناسبتان عابقتان بالدم، والتضحية في تاريخنا السياسي الإسلامي وهما في قاموسنا ثورة ضد الطغاة، ضد الإذلال، ضد التطبيع والمصالحة والمصافحة ضد الاستهتار بحقّ الأُمّة، ضد تسويغ الواقع، وتبرير السقوط في دهاليزه المظلمة... ضدَّ كلِّ خطط الإذلال التي تحاك هنا، وهناك للقضاء على روح الجهاد في هذه الأُمّة... عاشوراء لنا جميعاً بلا استثناء لفقرائنا وساستنا، لحركاتنا التائهة، ولإنساننا الذي أدمن اليأس، والصمت والانتظار، عاشوراء لغة الواقع التي تؤسس لصياغة المستقبل وهي لفتة الحريّة في تاريخنا الملي بالقهر والاستبداد...تظلّ تعيد في أذهاننا ما قاله الحسين رضي الله عنه «والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد".

ترى...هل تستطيع هذه الأُمَّة المسكينة التي تبيع برميل نفطها بما يعادل ثمن حبة برتقال، كما اعترف بذلك وزير النفط العماني، التي تشتغل اليوم بكلّ طواقمها في الانتخابات الصهيونية، وتسير خلف أوهام السلام الذي يبشر به سفاح قانا... أن نقرأ دروس عاشوراء وأن نتعلَّم من دروس الحسين في

كربلاء... أم أنَّني أنفخُ في قربةٍ مخزوقة؟....

يا الله... ماذا يملك المظلومون العاصون غير الدعاء إليك، واللَّوذ ببابك...فاعف عنَّا يا أرحم الراحمين. اهـ

الخذلان بين الحقّ الفلسطيني المضيع وجسد الحسين (عليه السلام) المقطع

اللَّامبالاة والخذلان سمةُ الاشتراك بين الحقّ الفلسطينيّ المضيع، وقد جسَّد الحسين (عليه السلام) المقطّع، ونحن نشاهد اليوم تسابق أنظمة القبائل المتصهينة تكشف عن وجهها الحقيقي، وتعلن عن علاقاتها قديمةِ الأمدِ مع بني صهيون، مفاخرةً بتحالفها معهم.. هي نفسها ممالك العائلات البريطانية الحاكمة، التي صرَخ فيها الشاعر الفلسطيني محمود درويش، قائلاً في قصيدة (أحمد الزعتر)[1] التي كتبها عقب مجزرة مخيم تلّ الزعتر[2] في لبنان، وإبادته من

(١) إضافة إلى دواوينه المطبوعة، فقصائده منشورةٌ على كثيرٍ من المواقع، والمنتديات الفلسطينية على الانترنت.

(٢) المسؤوليّة الأولى في مجزرة تل الزعتر تقع على الكتائب و(الأحرار)، و(حركة الشبيبة اللبنانيّة) و(التنظيم) و(حرّاس الأرز)، وعلى مَن كان يرعاهم في تل أبيب، بالإضافة إلى بعض الجيش اللبناني الذي كان في سنوات الحرب، متواطئاً مع العدوّ الإسرائيلي. والأنظمة العربيّة (الملك حسين في الأردن، وبني سعود وغيرهما) كانت هي أيضاً ترعى وتموّل، وتساعد التنظيمات التي ارتكبت المجزرة الفظيعة هناك، والقوى الفاشيّة هذه كانت تكرّر يوماً بعد يوم أن ليس هناك من مدنيّين في المخيّم، وأنَّ كلّ مَن يقطن فيه هم من المقاتلين («المرتزقة» بحسب وصف إعلام الكتائب) فيما أجلى الصليب الأحمر نحو ١٢٠٠٠ مدنيّ ومدنيّة بعد سقوط المخيّم، ولم يكن بين هؤلاء الآلاف ذكور بين سن الثامنة والخمسين، ونشب نزاع بين المقاتلين بعد سقوط المخيّم

قبل المليشيات العنصرية العميلة للعدو الصهيوني سنة ١٩٧٦م:

وكنت وحدي .... ثمَّ وحدي ... آهٍ يا وحدي!!
وأحمد ..... كان اغتراب البحر بين رصاصتين..

ثمَّ يواصل محمود درويش تشخيصه للحالة الفلسطينية، والعربية قائلاً:

ومن المحيط إلى الخليج، من الخليج إلى المحيط..
كانوا يعدُّون الرماح..
وأحمد العربيّ يصعد كي يرى حيفا ...و يقفز ..
أحمد الآنَ الرهينة..
ومن الخليج إلى المحيط، ومن المحيط إلى الخليج..
كانوا يعدُّون الجنازة، وانتخاب المقصلة..
وعن الصمود الفلسطيني والحصار..
أنا أحمد العربيُّ - فليأتِ الحصار..
جسدي هو الأسوار - فليأتِ الحصار..
وأنا حدودُ النار - فليأتِ الحصار..
وأنا أحاصركم ....أحاصركم..

حول حصّة كل فصيل لبناني يميني في قتل الفلسطينيّين الناجين (راجع مجلّة نيوزيوك عدد ٢٦ آب، ١٩٧٦)، الكلّ كان يريد أن ينهش في الدم الفلسطيني، وتقصّد القَتَلة أن يدعو أهل المخيّم إلى الخروج الآمن حتّى يعاجلوهم بإطلاق الرصاص العشوائي عائلات كاملة أبيدت، بحسب وصف ابثا بتران في كتابها عن الحرب الأهليّة (الصراع حول لبنان، ص٢٠٩) التي تضيف أنَّ صبية في عمر الثامنة، والعاشرة أُعدموا، وإن بنات في الأعمار نفسها تعرّضوا للاغتصاب.

وصدري باب كلّ الناس – فليأتِ الحصار..

يا أحمد العربيّ... قاوم !..

وفي قصيدته (مديح الظلّ العالي)، عن الاجتياح الصهيوني للبنان، وعن محاصرة وصمود قوات المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وعن مجزرتي صبرا وشاتيلا، في ظلّ صمتٍ رسميّ عربي، ودولي شبيهاً بما تعيشه المقاومة الفلسطينية اليوم في غزة، والداخل الفلسطيني، وفي الضفة حيث التنسيق الأمني مع كيان الاحتلال من قبل أزلام سلطة محمود عباس[1] ..

---

(١) مَحْمُود عَبَّاس، أو أَبُو مَازِن (١٩٣٥)م، الرئيس الثاني للسلطة الوطنية الفلسطينية منذ ١٥/ ١/ ٢٠٠٥م، ولا يزال في ذات المنصب على الرغم من انتهاء ولايته دستورياً في ٩/ ١/ ٢٠٠٩م، وقد سطع نجمه يوم أطلق عليه لقب «مهندس» اتفاقية أوسلو التي تم توقيعها بين ياسر عرفات، وإسحاق رابين وبمقتضاها تمَّ الاعتراف بالكيان الصهيوني، والتنازل له عن ٨٠٪ من الأرض الفلسطينية، مقابل سلطة حكم ذاتي محدود على أشلاء متناثرة من فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي سرعان ما قضى عليها شارون، ثم اختفى الرجل الذي يقال أنه ينتمي عقائدياً إلى الطائفة البهائية عن الأضواء طويلاً ليعود إلى الساحة السياسية والإعلامية بقوة ووسط حفاوة بالغة من الدوائر السياسية، والإعلامية الصهيونية والغربية، تبرزه كمنقذ جاء في لحظة نادرة لانتشال القضية الفلسطينية من الضياع والأخذ بيد الشعب الفلسطيني من الهلاك على أيدي شارون، وهو على ما يبدو جاء ـ في تخطيط وخيال الصهاينة ـ ليكمل مهزلة التفاوض، ويتابع تمثيله في مسرحية التسليم، وواضح أنَّ المهمة الأساسية لعباس هي استئصال شأفة تيار الجهاد، والاستشهاد الضارب في أعماق الأرض الفلسطينية، والمتجذّر بين أبناء الشعب، وهو ما يعني هذا التنسيق الأمني الحقير الذي نشهده واغتيال المقاومين والمثقفين الشرفاء، وآخرهم المغدور بساطور

بحر لأيلول (١) الجديد..

كم كنت وحـــــدك، يا ابن أمّي..

لحمي على الحيطان لحمك، يا ابن أمي..

كم كنت وحدك ! .....كم كنت وحدك !

ويضيف:

كم كنت وحــدك ! أيوب مات، وماتتِ العنقاءُ، وانصرفَ الصحابة..

أمن السلطة الشهيد نزار بنات (رحمه الله)، وواضح أنَّ هذا الرجل لا يتورع عن تنفيذ أوامر الإسرائيليين، ولو أدّى ذلك لإشعال حرب أهلية.

(١) يبدو أن الشاعر يشير هنا إلى أحداث أيلول الأسـود ضـدّ المقـاومين الفلـسطينيين في الأردن بتآمرٍ صهيوني غربي ورجعي عـربي، فقـد شـهد العامـان (١٩٧٠ و١٩٧١م) صراعاً دامياً في العلاقة بـين الحكـم في الأردن، وبـين المـنظمات الفلـسطينية، وقـوى المقاومة التي اضطرتها هزيمة العرب سنة ١٩٦٧م للتراجع إلى شرق نهـر الأردن، في انتظار فرصة استجماع الأنفاس العربية، واستعادة فلسطين من خلال المقاومة، لكـنَّ أصعب فترات هـذه المرحلـة كانـت الأيـام العـشر الفاصـلة بـين ١٧ و٢٧ / أيلـول ١٩٧٠م، حيث سقط الآلاف من القتلى والجرحـى (كـان مـن بـين الجرحـى بعـض أقربائي ومنهم المرحومة والدتي وشقيقتي) في حرب كـشف التـاريخ لاحقـاً حجـم التلاعب الذي مارسته القوى الغربية؛ لتأجيجهـا لمـصلحة الكيـان الـصهيوني، عـلى حساب المتقاتلين، وللأسف فقـد صـارت المواجهـات المـسلحة في الـداخل الأردني آنذاك خبزاً يومياً للمقيمين شرقي نهر الأردن من كافة الأصول، والمنابت عـوض أن يوجه الرصاص إلى صدر المحتل البغيض، قبـل أن تـأتي أحـداث اسـتثنائية في العـام ١٩٧٠م، ويـأمر الملـك حـسين جيـشه بالـدخول في مواجهـة شـاملة مـع المـنظمات الفلسطينية.

ثمَّ يضيف:

ووحـــدي .. كنت وحدي..

عندما قاومت وحــدي ... ســـقط القناع عن القناع عن القناع..

ســـقط القنـاع..

لا إخـوةٌ لك يا أخي، لا أصدقاءُ يا صديقي، لإقــلاع..

لا الماء عنـدك، لا الدواء ولا السـماء، ولا الدمــاءُ ولا الشــراع..

ولا الأمـــام، ولا الـــوراء..

حاصـــــــــر حصاركَ لا مفـرُ..

سقطت ذراعك فالتقطها..

واضـــرب عدوك .. لا مَفرُ..

وسقطت قربك، فالتقطني..

واضرب عدوك بي .. فأنت الآن حـــرٌ..

وحـــــرٌ ... وحـــــرُ

ويواصل كاشفاً للحالة الرسميّة العربية:

سقط القناع:

عربٌ أطاعوا رومهم..

عربٌ وباعوا روحهم..

عربٌ ... وضاعوا

وعن مجزرة صبرا وشـاتيلا، والتـي تجـسد المظلوميـة بأبـشع صـورها، وكأنَّها بالفعل مشهد كربلائي، ينطبق عليها شعار الإمام الخميني: كـلُّ أرضٍ

كربلاء وكلُّ يومٍ عاشـوراء[1]: والتـي تكـررت مـراراً عـلى امتـداد سـاحات الصراع.. يقول:

صبرا ـــــ نزول الروح في حجر..

صبرا ـــــ لا أحد..

صبرا ـــــ هويَّة عصرنا حتّى الأبد..

صبرا ـــــ هويَّة عصرنا حتّى الأبد..!

ومع استمرار الخذلان الرسميّ العربيّ، وخاصةً دول محور بنـي سـعود وبني صهيون، بات شـعبنا الفلـسطيني يميـز بـين الـصديق والعـدو، وغـزة المقاومة بسيف قدسها، ومجاهديها الأفذاذ من كلّ الفصائل المجاهدة تتحـالف مع محور الحـقّ والبطولـة، جبهـة المقاومـة، وعـلى رأسـها إيـران الإسـلامية، والحسين الفلسطيني يذبحُ في كلّ فلسطين، بالرصاص الصهيوني الممـول مـن الولايات الأميركية، وأدواتها من أنظمة العرب الرسمية، وأمام التـي مرغـت أنف العدو الصهيوني في الوحل، واستطاعت أن تجعل العدو الصهيوني يقـفُ مذهولاً أمام الانجازات، والعمليات الفدائية، والصاروخية النوعية، ولـسان حال الفلسطينيين، جماهيراً ومقاومة: (نحن الدَّم الفلـسطيني المبـارك، الـذي هزم، وسيهزم ويكسر سيف الاحتلال، وسوف ينتصر الدَّم الفلـسطيني عـلى سيف صهيون، وستبقى فلسطين، وغزة على الدوام كربلاء العـصر المنتـصرة بعون الله، وبإسناد الشرفاء من أهل التضحية والمقاومـة، الـذين يؤمنـون كـما

(١) راجع نهضة الحسين خطب، وكلمات الإمام الخمينيقدس سره حول الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام)، ص٦٣.

كان يقول دائماً الراحل السيد الخميني: بأنَّ فلسطين قضية المسلمين جميعاً، وهي كذلك، كيف لا والقدس بالنسبة للمسلمين واحدة من أهمّ مقدساتهم فهي أولى القبلتين، ومسرى النبيّ صمت الضمير الغربي والعالمي، وصمت غالبية الأشقاء العرب والمسلمين، يقف شعبنا الفلسطيني حسينيَّ النهج خلف المقاومة الفلسطينية الباسلة دون تردد، فهي محمَّدٌ (صلّى الله عليه وآله) حيث صلّى في مسجدها بالأنبياء (عليه السلام)، وهي مصلى عمرته الأنبياء، وما فيه موضع شبر إلَّا وقد صلى فيه نبيٌّ وقام عليه ملك كما روي عن الرسول الكريم محمَّد (صلّى الله عليه وآله)(١).

التصدّي الحسينيّ أيضاً، ومنطق الشهيد سليماني

إنَّ السبيل لمواجهة الاحتلال وأعوانه، وأبواقه ليست والله إلَّا طريق الحسين، فالحسين قد ربَّى أنصاره وأبناءه بحيث عندما يختبر القاسم بن الحسن الفتى الذي لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره؛ ليرى قوَّة ثباته في طريق الشهادة يسأله: كيف تجد طعم الموت؟ فيجيبه القاسم: الموت أحلى عندي من العسل، أجل إنَّه ليس الموت العبثيُّ بل الموت الواعي على طريق الأهداف العظمى، وهو والله تجسيدُ منطق الشهيد قاسم سليماني عندما قال: إذا أردتم أن تستشهدوا في هذا الطريق فلابد أن تعيشوا شهداء في حياتكم(٢)، ويستفاد

---

(١) راجع تفصيلاً: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، م س، ص١٠٢-١٠٤، لمحمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي شمس الدين السيوطي المتوفى ٨٨٠هـ.

(٢) يقول سيد شهداء محور المقاومة الحاج قاسم سليماني (رحمه الله): ".. هناك صنفان بيننا الخائف بشدة، والصنف المشتاق بشدة، فالخائف هو مثلي أنا الخائف، وأمَّا

هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ للهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[١] .

شهداء يتحدثون عن الشهادة

وهنا يحضرني حال القائد الجهادي الشهيد محمود طوالبة[٢] قائد سرايا

المشتاق فهو يتبع شوق الشهداء، على غرار فراخ الحمام كي يتعلَّم قطف بذور المعرفة، والعلم من الشهداء ويجعلها أمتعة الطريق.. ما عرفناه ليس فهما للإسلام، بل كتجربةٍ للشهداء، إنَّها لقضيةٌ مهمةٌ فما لم تكن شهيداً لن تستشهد، فشرط الاستشهاد هو أن يكون المرء شهيداً، لو رأيتم اليوم شخصا تفوح رائحة الشهيد من كلامه، وسلوكه وأخلاقه، فاعلموا أنَّه سيستشهد، كان يحمل كلّ شهدائنا هذه الميزة إذا كانوا شهداء قبل أن يستشهدوا، لا يمكن للمرء أن يكون عالماً قبل أن يتلقى العلم، وشرط الاستشهاد هو الشهادة..." اين مرد پايان ندارد، ص٢٠٠-٢٠٢.

(١) سورة الجمعة، الآية: ٦.

(٢) محمود طوالبة (أبو عبد الله) مواليد مخيم جنين ١٩٧٩-٢٠٠٢م لأسرةٍ لجأت إلى المخيم عام ١٩٤٨م من حيفا، انخرط بحركة الجهاد الإسلامي في ريعان شبابه، وفور اندلاع انتفاضة الأقصى لم يكتفِ بالمشاركة في المواجهات، بل شرع في تشكيل المجموعات السرية المقاتلة، والتي عملت على رفد انتفاضة الحجر بالسلاح، وعمليات المقاومة التي سرعان ما طورها إلى عمليات استشهادية، التحق بالجهاز العسكري للجهاد سرايا القدس، بعد أن تعرف على الشهيد محمد بشارات، وعمل معه وقاتل إلى جانبه، وشاركه في كثير من عمليات إطلاق النار على الطرق الالتفافية التي كانت تمرّ منها قوافل قطعان المغتصبين وجنود الاحتلال الصهيوني، وبعد أن تمكن من استعمال السلاح وتصنيع المواد المتفجرة، عُين قائداً عسكرياً لسرايا القدس في مخيم جنين، وعمل على الإشراف والتنفيذ المباشر لسلسلة من العمليات الاستشهادية، صار الطوالبة بعد عدد من العمليات الاستشهادية التي أدّت لمقتل،

وإصابة عشرات الصهاينة أحد أخطر المطلوبين، وبنداً من بنود المحادثات الأمنية بين السلطة الفلسطينية، والحكومة الصهيونية، حتى قامت السلطة باعتقاله في أواخر ٢٠٠١م، ممّا أثار تظاهرات شعبية أمام أحد المراكز الأمنية قرب جنين حيث كان معتقلاً، ونقل لاحقاً إلى سجن في نابلس حيث نجح في الفرار بعد أن استهدفت الطائرات الحربية الصهيونية السجن، تعرض طوالبة لأربع محاولات اغتيال صهيونية باءت جميعها بالفشل، أمّا الأولى يوم اغتيال الشهيد معتصم الصباغ فنجا من الموت بأعجوبةٍ، وأمّا الثانية فقد ارتقى فيها الشهيدان مجدي الطيب، وعكرمة ستيتي من كتائب شهداء الأقصى، حيث استطاع أن ينزل من السيارة قبل إصابتها بصاروخ طائرة الأباتشي بلحظات، وأمّا الثالثة استطاع أن ينجو من تفجير المحل التجاري الذي كان يعمل فيه مع شقيقه بعد اكتشاف العبوة الناسفة، أمّا الرابعة بعد قصف طائرات الاحتلال سجن نابلس الذي تواجد بداخله، وتمكن من النجاة وعاد لمخيم جنين الذي استقبله بمسيراتٍ حاشدةٍ عبرّت عن تقدير الجماهير الفلسطينية له، يصعب حصر عدد الاستشهاديين الذين قام بتجنيدهم، وإرسالهم لتنفيذ عمليات استشهادية، وأسندت مسؤوليتها إلى القائد محمود طوالبة، إذ كان يفخخ من عشاق الشهادة من هم من جنين وغير جنين، حتى أصر شقيقه مراد أن يحظى بهذا الشرف، وبالفعل وفي يوم خطبة شقيقته جهز محمود لشقيقه مراد حزاماً ناسفاً لتنفيذ عملية استشهادية داخل فلسطين المحتلة وأراد تفجير نفسه ورأى عدداً كبيراً من الأطفال الصغار في المكان، فأمسك عن تنفيذ العملية حرصاً منه على عدم قتل الأطفال فهذه هي أخلاق المجاهدين، وتمكنت قوات الاحتلال من اعتقاله.

قبل بدء معركة مخيم جنين بدأ طوالبة وإخوانه المجاهدين بالاستعداد، وقام بتفخيخ بيته وجميع البيوت المجاورة، وكان يقضي الليل والنهار في تجهيز العبوات، وعندما اندلعت المعركة دعا لتوحيد فصائل المقاومة التي عملت معاً لمواجهة المحتل، وعندما أصيب خلال المعركة رفض الاستسلام أو التراجع أو مغادرة ساحة المعركة، وكان يحمل حزامه الناسف الذي لم يكن يفارقه وسلاحه الذي لم يهدأ طوال المعركة،في

القدس في جنين (التي شهدت كربلاء مصغرة عام ٢٠٠٢ م)، وكنت أعـرف

اليوم الثالث من معركة جنين تقدم الجنود باتجاه حي الـشلبي في مخـيم جنـين فأبلغـه الأهالي بتحرك المشاة بشكل واسع وسريع فنـصب لهـم كميناً قـرب منـزل الـشلبي وباغتهم بهجوم سريع مما أدى إلى مقتل عدد من جنود الاحتلال وإصابة آخرين، ثُـمَّ خاض ومجموعته عدة اشتباكات وقام بنصب العديد من الكمائن بكل شجاعة، حيث خاض اشتباكاً في حارة الدمج استمر عدة ساعات، ثم انسحب إلى حـارة الحواشـين واشتبك برفقة مجموعته المجاهدة مـع جنـود الاحـتلال وتمكنـوا مـن قتـل جنـديين صهيونيين، وتم سـحب جثـث الجنـود القـتلى بأحـد الأسـلاك الطويلـة ومـصادرة أسلحتهم.

كان القضاء على محمود طوالبة أحد أهداف الجيش الصهيوني في معركة جنين، لقيامـه بتجنيد العديد من الاستشهاديين، وإرسـالهم داخـل الأراضي المحتلـة عـام ١٩٤٨م يقول الأسير المحرر علاء الصمادي من مخيم جنين: "أوّل ما تلفظ بـه الكـابتن جمـال الصهيوني أثناء اعتقالي خلال معركة مخيم جنين، وكان يلحّ في سؤال الشبان المعتقلين من جنين، وأنا منهم عن طوالبة قائلاً": هل منكم رأى جثة محمود؟ هـل مـنكم مـن يستطيع إرشادي إلى مكانها؟ "، ويؤكّد لهم أنَّ القوات الصهيونية المحاصرة للمخـيم ستنسحب فور تأكيدهم استشهاد محمود، أو التوصل إلى مكان جثته".

بعد مقاومةٍ ضاريةٍ من المجاهدين استمرت لعدّة أيامٍ داخل المخيم، وبتاريخ ٨-٤-٢٠٠٢م، استطاع العدو الصهيوني تشخيص المكان الذي يتواجد فيه طوالبة، وبرفقته مجموعة من المجاهدين (عبد الـرحيم فـرج وشـادي اغباريـة (نوبـاني) وأشرف أبـو الهيجا)، عقب الكمين البطولي الذي نفذوه ضد جنود الاحتلال، وقُتل فيه عدد منهم وأصيب آخرون، بعد هذه العملية البطولية النوعية والجريئة صبّ العدو جحيم ناره بصواريخ "الأباتشي" ومدافع الدبابات على المكان الذي تواجد فيه القائد طوالبة مع عدد من المجاهدين، ممّا أسفر عن استشهادهم.

صديقاً له يتردَّد بين فلسطين والأردن، التقيته في تسعينيات القرن المنصرم، في تلك الأيام لم تكن الكتب متاحةً عبر الانترنت كما هي اليوم، وكان في كلّ مرَّةٍ يعدني بإعارتي كتاب (شهيد يتحدث عن الشهادة[١]) إلى أن أحضر لي نسخةً مصورةً عنه ذات يوم قبل معركة مخيم جنين (٢٠٠٢)، وأخبرني حينها أنَّ النسخة الأصلية بقيت عند صديق مقاوم في جنين انكبَّ على قراءته، وتعليمه للشهداء الأحياء، عرفت لاحقاً أنَّ ذاك الشخص كان الشهيد الحسيني محمود الطوالبة الذي عاش شهيداً في حياته، الذي فاق في عظمته وتضحيته حتّى بعض جيل السلف الأوَّل في صدر الإسلام، وبعد مطالعتي للكتاب قبل عشرين عاماً كتبت هذه الحوارية التي أناجي فيها روح الشهيد الطوالبة، وقد استلهمت أهمَّ الأفكار الواردة من كلمات الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري، والمضمنة في كتاب (شهيد يتحدث عن الشهادة)، ورغم كونه وجبة سريعة، لكنه جدير أن يكون ضمن مناهج التعبئة الثقافية لجيل الولادة الجديدة: جيل الجهاد والاستشهاد.

حواريَّة تناجي الشهيد

حوار الروح مع الشهيد الأسطورة، قائد السرايا في جنين الملحمة والفداء:

- سيدّي الجنرال، أيَّها القائد الحيُّ يا من أبيت، وشبيبتك الأشاوس إلَّا الموت واقفين شامخي الرؤوس، أبدأ حديثي لك بالسلام، وقد رحلت عنا

(١) كتاب (شهيد يتحدّث عن الشهيد)، سلسلة محاضرات للشهيد الشيخ مرتضى المطهري، يتحدّث في هذا الكتاب عن مفهوم وقيمة الشهادة في بعديها الفردي والاجتماعي، والأثر المترتّب على هذين البعدين، ثمّ يذكر نماذج سارت على خطّ الشهادة، مثل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه.

رغم بقائك المثل، والنموذج تماماً كيومٍ كنت بجسدك بيننا وهيهات لمثلك أن يموت!..

كم مرَّة هاتفت روحي روحَك، وفي كل مرة كنت مضطراً للانحناء، وأنا استمع إلى حديثك، عن عزمك على نصرة كلّ المستضعفين في فلسطين وخارج فلسطين.. واليوم، وقد اختارك محبوبك الأوحد إلى جواره، اسمح لي أن أصف بعض حالك بينما أنت منغمسٌ في النعيم المقيم، آملاً أن يتكرَّر اللقاء بك في عالم الوعي الحقيقي، كي أستمع إلى تأكيدك الدائم على حفظ المقاومة، وأنَّ القافلة سائرةٌ رغم كلّ هذا النبح، والضجيج الذي لا يمكث في الأرض.

– وحيث أنت في موقعك المنيف اللطيف؛ حيث مقام الشهادة، وقد اجتزت مسيرتك التكاملية بهذه السرعة، وبلغت الذروة عندما طويت الزمن بمجاهداتك ومصابرتك، فأتعبت من بعدك، وكم من السالكين يفنون أعمارهم لأجل واحدة من لحظاتك يا معلمي الكريم لا زلت أذكر حديثك، وأنت تشكو سطحيي التفكير المرعوبين من سطوة الصهاينة، الدائرين في فلكهم من العرب والفلسطينيين يومها قلت لك: إنَّهم صادروا حرية تفكيرهم، ولم ينصتوا للحقيقة في أعماقهم!

– أجبت: كبلُّوا أرواحهم، وأطلقوا العنان لأنفسهم .. وأردفت حديثاً طويلاً ملؤه الوعي والبصيرة، ويوم عروجك في مخيم جنين، في كربلاء فلسطين، كنت في أشدّ الرغبة والحاجة للاستماع إلى آخر دروسك الحيدرية، ولكن خفت أنينك ورحلت، إلى أن استمعت إلى رفاق بأسك، وتضحيتك في سجون صهيون.. قالوا عنك وعن الأرواح التي حلَّت حواليك:

الشهيد ارتفعت روحه إلى مستوى الشهادة، وتحرَّرت من قيود

الشهوات الهابطة، فأضحى منطقه جديدا قد لا يفهمه علماء وفلاسفة!.

وهو هكذا حديث الشهداء والشهادة لا يمكن أن يكون صادقاً معبراً إلّا إذا انطلق من قلب إنسان وهب نفسه لرسالته، وكسر إطار ذاتيته؛ لينصهر في هدفه السامي..

سيدّي الحبيب:

تواضعك، وزهدك الفريدان كانا يثيران دهشتي، كنت تصر أنَّك مثل سائر أفراد المقاومة، بل كبقية أبناء الوطن، كنت مشعلاً شديد الوهج، وبالحسابات المادية تحترق، لكنَّ نظرك إلى أقصى القوم..

كنت تعلِّم مريديك من الاستشهاديين أنَّ كلَّ المجموعات التي أسدت خدمات للبشرية مدينة للشهداء، لكنَّ الشهداء قلَّما كانوا مدينين لهذه المجموعات، بل هم محتاجون (أي غير الشهداء) إلى أجواءٍ حرَّةٍ مساعدةٍ كي يقدموا خدماتهم.

أنت يا لحن الشهادة، وتلامذتك ومَن هم على دربك يوفرون هذه الأجواء.. أنتم الشموع التي تحترق؛ لتضيء الطريق للآخرين، بل وشموس البشرية على طريقها الطويل، ولولا نهجك الرشيد، وتقبل الموعد مع الدم بالإيمان، والاحتساب لما استطاعت البشرية أن تواصل طريقها، ولما استطاع أبناء البشر في ظلمات الاستعباد، والاستبداد أن يمارسوا نشاطهم، ويقدّموا خدماتهم للإنسانية.

((فوق كل ذي برّ برّ حتّى يقتل في سبيل الله فليس فوقه بر))[1].

---

(١) فتال النيسابوري، محمّد بن أحمد، روضة الواعظين، ج٢، ص٣٦٦، وقد ورد الحديث بالمضمون لا بالنصّ في العديد من مصادر المسلمين جميعاً، القرطبي، الإمام محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير الأنصاري، ج٨، ص٢٦٨.

وذات يوم، عندما اجتمع إليك نفر من صحبك البررة شدني يومها حديثك العذب:

إن أحكام الإسلام تقوم على أساس الحكمة، وأنَّ هذه الأحكام لها دلالاتها الخاصَّة، ومنها دلالاتها الاجتماعية.

- سألك بطلٌ ملثَّم:

- الشهيد يدفن بدمه وملابسه،لا يغسل ولا يكفن؟

- أجبت بروح مفعمة: جسد متروّح (تقصد بدن الشهيد) ولباساً متجسداً (لباس الشهيد)، وإنَّ هذا الاستثناء له مغزاه العميق الذي يرمز إلى أنَّ روح الشهيد بلغت درجة من السمو والطهارة بحيثُ ترك هذا السمو، والطهر آثاره على هذا الجسد، وعلى دمه، بل وحتّى على ما يرتديه من لباس..لقد أضحى البدن وجوداً تجري عليه أحكام الروح، ولباسه تجري عليه أحكام الجسد الذي يضم تلك الروح الطاهرة، فجسَّد الشهيد ولباسه اكتسبا الشرف من طهر روحه، وعلو فكره وسمو تضحيته، وتلك هي قداسة الشهيد .

وفي كلّ لقاءٍ مع رجالك ما فتئت تؤكّد على الوعي والبصيرة، واستثمار دماء الشهداء، وأنَّ ثقافة المقاومة والاستشهاد ينبغي أن تطرح بكلّ ما تستحقه من أجل أن تكون ثقافة تدفعنا للأمام في مواجهة عدونا، وتطوير قدراتنا.. علَّمتنا أنَّ للشهادة وجهين:

وجهٌ مقدَّس في انتسابها للمقتول..

ووجهٌ بشعٌ إجراميٌّ في انتسابها للقاتل..

الشهادة بما تحمله من صفاتٍ ساميةٍ كالوعي والاختيار، وقدسية

الهـدف، وخلوهـا مـن الميـول الذاتيـة عمـلٌ بطـوليٌّ يبعـث عـلى الإعجـاب والافتخار،كنت تطمئن الاستشهادي، وقد تحزم بين يديك: اعلـم أيُّهـا الحـيُّ عند ربّك أنَّ هذا النوع من الموت وحده الذي يفـوق الحيـاة عظمـة وقدسـية وأهمية. وحقَّاً يا سيدي إنَّ هذه الثقافـة كفيلـة أن تحـوّل كـلّ فلـسطين قنابـل بشرية تتوعد القاتل شارون[١] (يزيد زمانـك) وبقيـة مـشتهي سـفك الـدماء للفطائر المقدسة[٢] على الأرض السليبة.

---

(١) هذه الحوارية كتبت قبل عـشرين عامـاً، ونـشرت في منتـديات المعـارف الإسـلامية اللبنانية على الإنترنت باسمٍ مستعار، وكان شارون رئيس حكومة الكيان.

(٢) هناك روايةٌ للأديب العربي الكبير نجيب الكيلاني بعنوان: (دم لفطير صهيون)، وهي توثيق لحادثة عرفتها حـارات دمـشق القديمـة، وتلخيـصاً لعقيـدة مـذاهب يهوديـة وادعاءاتهم بـأنَّهم شـعب الله المختـار، يحـقّ لهـم سـفك الـدماء، وهتـك الأعـراض واستحلال الأموال، وقد كتبها الكيلاني، بعد أن اطلَّع على وثائق محاضر التحقيـق في حادثة اختفاء رجل دين مسيحي (الأب توما) وخادمه المسلم، عام ١٩٨٤م، بعد أن تحايل عليهما بعض أعيان اليهود، واستدراجهما إلى الحارة وقـتلهما، ومـن ثـمّ تـصفية دمهما والتخلّص من الجثتين، ليتم بعد ذلك استخدام هذه الـدماء في صـناعة الفطـير المقدس المعجون بدمّ مسيحيّ، ومسلم قرباناً للربّ وانفضح أمـر العـصابة اليهوديـة حيثُ دلّت التحقيقات عليهم واحداً واحداً، لكن وكما يقول نجيـب الكـيلاني عـلى لسان أحد أبطال القصة في الوقت الذي وضـحت فيـه كـلّ الأدلـة: " تحركـت دول أوربية.. وتـمَّ إسـكات التحقيـق، لا بـل والمطالبـة بعـدم تجـريم القتلـة! .. "وبقيـة التفاصيل المؤلمة لا يتـسع المجـال لـسردها هنـا، صـحيفة «افتونبلاديـت» الـسويدية كـشفت في تحقيـق مثـير بـشهر آب -٢٠٠٩م الظـروف التـي حـصل فيهـا جنـود إسرائيليون على أعضاء شهيد فلسطيني بعـد ذبحـه، وقـد قـام اثنـان مـن صـحافيي

ورغم أنَّك كنت تبكي بحرقةٍ، وأنينٍ وأنت تسمع نبأ كلّ شهيد، إلَّا أنَّ أولئك ممن فنوا في مصلحة المجموع، وإن كنت تبكيهم بشدة ولكنَّك لم تكن تصفهم بالمظلومين.. كنت تخبرنا أنَّهم ليسوا كسائر المقتولين، بمعنى إنَّهم لم يكونوا عديمي الدور في حادث مقتلهم، إنَّه الشهيد بكلّ معنى الكلمة، وكفى..

لذا ...فيا قائدنا الراحل وبعد أن تعب أطفال المخيم، وهم يبحثون عنك، لا لشيءٍ سوى تقديم تقرير الملحمة إلى العالم. قالوا بالنيابة عنك، وممَّا تعلَّموه من معين نهجكم الأبي:

مع أنَّ الوجه لفاجعة جنين يمثّل القاتلين، وإجرامهم، إلَّا أنَّ الوجه

«افتونبلاديت» بتحقيقٍ في بلدة «أماتين» غرب نابلس، حصلوا خلاله على معلومات من والدة وشقيق بلال غانم الشاب الفلسطيني الذي كان في الـ١٩ من العمر عندما قتله جنود إسرائيليون قبل ٣٠ عاماً، وأكدت صدِّيقة غانم والدة بلال أنَّه في ١٣ أيار ١٩٩٢م نقل الجنود ابنها بعد أن قتلوه بالمروحية إلى (إسرائيل)، وأعيدت جثة بلال إلى ذويه بعد أيام، وقالت والدته: «إنَّ ابنها كان داخل كيس أسود وقد اقتلعت كافَّة أسنانه، وكانت الجثة تحمل جرحاً من الحلق وحتّى البطن، وأعيدت خياطته بشكلٍ سيء، ولكم أن تتخيّلوا وحشية هذه الطقوس التي تقوم على الذبح والقتل، فقط من أجل الاستمتاع واللَّذة، والغريب في الأمر أن يقوم مؤرخ يهودي بكشف الحقائق؛ وهي أن اليهود الأشكناز استخدموا الدماء البشرية بعيد الفصح في القرون الوسطى، حيث أفصح هذا المؤرخ اليهودي الإيطالي من جامعة بار إيلان، "أرئييل طوئيف" مؤلف كتاب "فصح الدم" عن هذه العقيدة الوحشية عند اليهود (الأشكناز) مضيفا أنَّه" لن يتنازل عن التمسك بالحقيقة، والحريّة الأكاديمية، حتى لو صلبه العالم" (صحيفة "هآرتس" بتاريخ ١٤/ ٢/ ٢٠٠٧م).

الآخر الذي يرتبط بك، وبإخوتك هو الشهادة: أي المقاومة الواعية على طريق الأهداف التي لا يساوم عليها بأيّ حال، أيّ الطريق الحسينيّ المحمَّديّ..

إنَّ معرفتك، ورفاقك الماضون بالمصير الذي ستواجهونه بسبب مواقفكم المبدئية، ونتيجة هذا الشكل من المقاومة غير العادية، ورفض مهادنة القتلة، واعتباركم الاستسلام عاراً وخزياً لن ينمحي، ثمَّ تاريخكم بالقول، والفعل على طول مسيرتكم النضالية أوضحُ دليلٍ على أنَّ الشهادة تكتسب قداستها من صفتها التضحويّة الواعية، لقد كانت ملحمتكم بحقّ قبساً من نور كربلاء الحسين.

كان فكرك بارعاً لما طلبت إلى أشبالك أن يشيّعوا صندوق موت ما يسمى هيئة الأمم، ومجلس الخوف المنبثق عنها، علَّمتنا أنَّ حقيقة مبدئنا، وحركتنا يتجاوز كلُّ أنا، ودفاعه لا يتوقف عند دفاعنا عن حقوقٍ شخصيةٍ، أو قوميةٍ أو طائفيةٍ، إنَّه يتَّسع، ويتَّسع ليشمل الحقوق الإنسانية .. الحريّة .. العدالة، ومع أنَّ الجميع كان يصفك بأنَّك سفر كبير في الأخلاق، والمعنويات يدب على الأرض، إلَّا أنَّك كنت تلقننا أنَّ الإسلام ليس بالدين الذي يدعو الفرد إلى إدارة خده الأيسر إن صفع على خده الأيمن من العدو المستكبر المعتدي الغاصب، وليس بالدين الذي يقول: ما لله لله، وما لقيصر لقيصر، وليس بدينٍ يفتقد الهدف، ويعدم خط الدفاع والجهاد.

- كنت تنبهنا أنَّ دوراننا مع فلسطين حيث تدور،لا يعني بحال ضيق أفقنا، وإهمالنا لقضايا أمتنا الأخرى،كنت تقول:

إنَّ بلادنا الوديعة أمست بالغرباء غدَّةً سرطانيةً تنشر عدوانها، وباتت

مركزاً تآمرياً للاستكبار يديره الصهاينة شذاذ الآفاق على الأحرار وأشـياعهم ... ولهذا أيُّها الحبيب كان فكرك أممياً يستحق التقدير والمتابعة.

وهـا أنـت قـد بلغـت الـدرجات، ونلـت مـا تمنيـت فالبـشرى لـك، وللسائرين على ذات الطريق، فقد بلغنا عن الاستـشهادي الأوَّل في الإسـلام علي بن أبى طالب (عليه السلام) قوله: (..أمَّا بعد فإنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصَّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحـصينة وجنتـه الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبـسه الله ثـوب الـذل، وشـمله الـبلاء، وديـث بالصغار والقماءة، وضرب عـلى قلبـه بالاسـداد، وأديـل الحـقّ منـه بتـضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف)[1].

ورُبَّ أمةٍ تترك الجهاد، طلباً لرغد العـيش لكـنَّ الـشدائد، والمـصائب تتوالى عليها.

وها هم يا سيدي دعاة التخاذل[2] وقد عقدوا اتفاقيـاتهم، ومعاهـداتهم فعن ماذا أسفرت؟ أين الوعود الخادعـة؟ أيـن هـي القـصور التـي بنيـت في الهواء؟ بل زاد سوء حال مصر والأردن على كلّ المستويات.

كنت تستهزئ بهم، وهم يرددون دون خجل: إنَّ علاقتنا مع القتلة هـو من أجل القضية وأهلها! وتبين لنا كذب ذلك، وأنَّ اللـصوص الغاصـبين لا يؤتون الناس حتّى نقيراً، كنت تخشى من يـومٍ، ومرحلـةٍ قادمـةٍ لا سـمح الله نفتح عيوننا، وقد تملَّكوا المـساحات الـشاسعة مـن الأرض قانونيـاً، أو أنَّهـم

(١) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج١، ص٦٧.

(٢) لم تكن بعد دول التطبيع والتتبيع في الخليج قد انضمت في العلـن إلى عـار الاعـتراف بدولة الكيان الغاصب، والتطبيع معه.

يضحون ملاك مصانعنا الكبيرة، أو يكونوا بيننا رجال الأعمال الكبار، ولو بأسماء مستعربة مستأجرة؛ ليسهلوا مهمتهم، بل كنت تحذرنا من أنَّ هذا السلوك المهادن قد يمكنهم من مشاركتنا حتّى أبناءنا وبناتنا ..نعم، ما فتئت ترجونا كي نكون يقظين متنبهين[1]. اهـ الحوارية.

حبُّ الحسين يوحدنا

الحسين (عليه السلام) إذن، ليس مُلْكاً لطائفة دون أخرى، وهو مركز لتوحيد أنظار، وأفكار وقلوب كل المسلمين، وكلُّ عاشقٍ للإسلام ولنبيّ الإسلام، وذوي قربى محمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله) يجد حرارةً في قلبه أسىً وحزناً على الحسين الشهيد المظلوم، الذي أراد أن يوحدنا عبر الزمان؛ ليلفت نظرنا من خلال تضحياته الجِسَام إلى ضرورة أن نكون أمَّةً واحدةً تعرف صالحها، ولا تخدم عدوها بالمجان!

---

(١) وهو ما حصل في الأردن والمغرب، والإمارات التي باتت تمنح الجنسية لمن هبَّ ودب من الصهاينة، وتعطيهم الأولوية حتى جنس الآلاف، والذين بدورهم يحاولون اختراق بلداننا متخفين بصورة مواطنين إماراتيين، وقد بدا جليًّا أنّ حكّام الإمارات أصبحوا يمثّلون جسراً لعبور العملاء إلى كلّ البلاد العربية من خلال هذه الجنسيات، بحيث يتمكّن الصهاينة من استغلال هذه الجنسيّات والوصول إلى ما عجزوا عنه، وعلى الدوام استثمر الصهاينة الجنسيات الغربية؛ لممارسة بعض أنواع الإرهاب والعديد من جرائم القتل بحقّ أبناء الشعب الفلسطيني، ووقع من جراء ذلك استياء من البلاد التي استخدمت جنسيّاتها لممارسة القتل والإرهاب في مواقع عدة من بينها جرائم داخل الإمارات كما فعلوا في اغتيال الشهيد محمود المبحوح (رحمه الله)، واليوم يجعل حكام الإمارات جنسية بلادهم مطية لممارسة مزيد من الإرهاب والعدوان على أبناء الشعب الفلسطيني، وشرفاء الأمّة في كلّ مكان.

لقد تعلَّمت من أساتذتي الأجلَّاء المخلصين سنَّةً وشيعةً في بلاد سوريا الطبيعية، أو إيران أو العراق، أنَّ المحطَّة الحسينية الكربلائية هي للتزود من أجل دوام وحدتنا وعزتنا وكرامتنا، وخاصَّةً في هذا العصر؛ لمواجهة مؤامرات الشيطان الأكبر الأمريكي، وربيبته الغدة السرطانية الصهيونية في قلب عالمنا الإسلامي، والمهم أن نكون بنياناً مرصوصاً في النفوس قبل أن نكون بنياناً مرصوصاً على الأرض، فالدعوة إلى الوحدة الإسلامية حقيقةُ جوهر الإسلام، وأكبر هدفٍ إصلاحيّ للإمام الحسين (عليه السلام)، وكم نحن بحاجةٍ كمسلمين، وكمقاومين على اختلاف ساحاتنا أن نجعل من عاشوراء إسلامية نعيش الوحدة خلف حفيد رسول الله محمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله)، عندها فقط يمكننا زرع مبادئ ثورة الإمام الحسين في قلب هذا الجيل وعقله، وهو الذي نشأ يا للأسف!! على مفهوم إمكانية أن يثور في بلده على الحكومة الفاسدة، وفي سبيل ذلك يقتل، ويفتك بالناس، ثمَّ تسرق ثورته، وتصير الحكومة (الثورية) صديق الصهاينة، ولا ترى في ذلك مشكلة!!

فهيا يا أبناء جيل المقاومة والتحرير، دعونا نتمثَّل شعارات الحسين (عليه السلام) الثورية؛ هذه الشعارات التي فعلت فعلها بعد استشهاد الحسين وغيرت وجه التاريخ، وهي قادرةٌ على أن تفعل فعلها اليوم بالشباب المقاوم للصهاينة في فلسطين، بل تخلق تياراً تسونامياً في كافَّة أقطار العالم الإسلاميّ، لو قام كلُّ واحدٍ من أبنائه بسكب دلو ماءٍ على الصهاينة لأغرقهم عن آخرهم، ولأسقط أنظمة الخيانة التي سلمت مقدّراتنا، وثرواتنا للأمريكيين والصهاينة، بل ربطت مصير ثرواتنا بقوة الدولار اللعين، والشيكل الصهيوني الذي ليس إلَّا قوتنا ونفطنا وخيراتنا.

من هم أهل الحقّ؟

المسلمون الخلَّص اليوم هم أتباع النبيّ الكريم وعلي والحسن والحسين والزهراء، والخلفاء الراشدين، هم الصفوَّة الذين اجتمعوا على مقارعة الظالمين بوعيّ وبصيرةٍ، واجتمعوا وتعاونوا على ما فيه رضا الله تعالى، وصلاح أمتنا واقتدارها في وجه عدو البشرية الأمريكي والصهيوني وذيولهم.

وما أجمل وأبهى، وأدقّ تعبير أول الفدائيين مولانا أبا الحسنين (كرم الله وجهه): (الفرقة أهل الباطل وإن كثروا، والجماعة أهل الحقّ، وإن قلُّوا .. لا تستوحشوا في طريق الهدى؛ لقلَّة من يسلكه، واتبعوا الحقّ وأهله حيث كانوا)[1].

وعلى طريقة الظالم الباغي يزيد بن معاوية في تعبيد الناس، وإذلالهم عندما طلب أن يبايعوا على أنَّهم عبيده، يطبق الأمريكيون وأذنابهم الصهاينة والسعوديون في هذا العصر الأمر ذاته، إذلالاً لشعوبنا بكلّ الطرق كما في العراق وفلسطين، وأفغانستان وسوريا واليمن، بل في كلّ العالم بأشكالٍ وصورٍ مختلفةٍ، وما يخطط له الصهاينة وأعوانهم في حربهم الناعمة، والخشنة علينا ها هو يصل إلى عقر بيوتنا وغرف نومنا، يزيد العصر الشيطان الأكبر لن يقبل إلَّا أن نكون عبيدًا لهم وأن تكون بلادنا مستباحة لأطماعهم وإلَّا فلن نهنأ بالعيش مادمنا نملك بقايا كرامةٍ وعزَّةٍ... المخرجُ من هذا كلَّه لن يكون إلَّا بشعور كلّ مسلم بأهمية الوحدة والإخاء الإسلامي.

الثورة الحسينية كانت أعظم ثورةٍ إسلاميةٍ خالصةٍ، وهي عنوان

---

(١) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج٢، ص١٨١.

صحيفة المؤمن الحقّ؛ لأنَّ الهدف الأساس كان الإصلاح في أمة النبيّ (صلّى الله عليه وآله)[١] بقيادة شخص الإمام الحسين (عليه السلام) الممدوح على لسان ربّ العالمين في القرآن، وعلى لسان النبيّ الأعظم محمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله) بقوله: (الحسن والحسين سيدَا شباب أهل الجنَّة)[٢] وبقوله (الحسن والحسين إمامان قاما، أو قعدا)[٣] وبقوله الثالث: (حسين منّي وأنا من حسين)[٤]، وهذه الأدَّلة الشرعية، تجعل ميزان الحقّ في طرف الحسين بلا

---

(١) يروي العديد من المؤرخين أن يزيد بن معاوية بمجرد أن استلم الخلافة أرسل إلى واليه على المدينة طالباً أخذ البيعة من الحسين (عليه السلام) وفي حال الرفض أن يرسل له رأس الإمام (عليه السلام)، وتضمّنت رسالة يزيد ما يلي: (أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فعجِّل عليَّ بجوابه، وبيِّن لي في كتابك كلَّ من في طاعتي، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي).فهل كان الحسين (عليه السلام) خارجاً عن الإسلام أو أنّه ارتكب جناية يستحق عليها القتل؟ ولا حول ولا قوة إلَّا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) مرّ تخريج الحديث.

(٣) من الأحاديث المتّفق عليها، كما في كتاب المناقب لابن شهرآشوب السروي، وممّن رواه أيضا: الصفوري في نزهة المجالس، ج٢، ص١٨٤، والصدّيق القنوجي في السراج الوهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج في باب المناقب، وفي الاتحاف بحبّ الأشراف: أنّه (صلّى الله عليه وآله) قال لهما: "أنتما الإمامان ولأُمّكما الشفاعة" (الاتحاف بحبّ الأشراف: ١٢٩). وحينئذٍ، يكون ما فعله الإمام الحسن (عليه السلام) وما فعله الإمام الحسين (عليه السلام)مرضيّاً لله ورسوله وحجة على المسلمين.

(٤) مرّ تخريجه.

شكٍّ، ولا ريب.

ودعونا نتذكر أنَّ مسألة المذاهب في الإسلام حدثت بعد ثـورة الحـسين (عليه السلام) بعقود، فكلّ مَن يدَّعي أنَّ ثورة الإمام الحسين (عليـه الـسلام) هي ثورةٌ مذهبيةٌ موجّهةٌ ضدَّ المذاهب الأخرى هو إنسانٌ غير مطلّـع، أو أنَّـه عالمٌ بما يقول، ويريد إيقاع المسلمين في الفتنة.

الشقاقي حسيني ملهم في فكر الوحدة

عاصمة الأرض والسماء تجمعنا؛

خلال رحلة استكشافي الحضاري في إيـران الإسـلام، وقـع بـين يـدي كتاب (السنة والشيعة ضجة مفتعلة) أثناء مطالعتي في مكتبة جامعة المصطفى العالمية بقم المقدسة، كتـاب صـغير في حجمـه عظـيم في محتـواه بقلـم شـهيد فلسطين الحسيني الكبير المعلم المرحـوم د. فتحـي الـشقاقي مؤسـس حركـة الجهاد الإسلاميّ، الذي يؤمن أنَّ الصراع بين المسلمين مُفـتعلاً ومُغرِضـاً وأنَّ إثارته هدفه إشغال الأمّة عن قضاياها الرئيسية، وفي مقدّمها قضية فلـسطين، وضرب قوى المقاومة العربية، والإسلامية باصطناع معارك مذهبيـة يـصعب الانتصار فيها؛ لاستنزاف الطاقات وتمزيق النـسيج الإسـلاميّ الواحـد وفـق فكر الشقاقي العزيز.

يؤكّد الشقاقي أنَّ الخلافات بين أهل الـسنَّة الأصـلاء - والـذين لـيس منهم الوهّابية (السعودية) [1]- وبين الـشيعة هـي خلافـات في الفـروع، وأنَّ

---

(١) كما صنفهم مؤتمر أهل السنة الشهير مؤخراً في الشيـشان، ويمكنـك مراجعـة موقـع يوتيوب محاضرات الدكتور، والمنظـر الأشـعري البـارز سـعيد فـودة حـول إخـراج

الثورة والمقاومة ضدَّ الاحتلال والفساد، والاستبداد قد خلقت قواسم مشتركة كبيرة بينهما، وأجبرت الخلافات على التراجع، ولكي يؤكّد فكرته تلك استشهد بالكثير من الأقوال، والمواقف لقادة الحركات الإسلامية السنّية، والشيعية ومنهم الشيخ حسن البنا، والإمام محمود شلتوت، والسيد الخوئي، وأبو الحسن الندوي، والإمام الخميني، والشيخ محمّد أبو زهرة، والداعية فتحي يكن، وغيرهم الذين أكّدوا على أنَّ الصراع المذهبي بين السنّة والشيعة هو صراع مُفتَعل، الهدف منه ضرب الإسلام والثورة والمقاومة، خاصَّة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران على النظام الشاهنشاهي التابع لواشنطن، والطريف أنَّ (الشاه الإيراني) رغم أنَّه من المفترض شيعي المذهب إلا أن علاقاته الدافئة مع الصهاينة وبني سعود، وقبائل الخليج المتهودة (المنتسبة زورا للتسنن) كانت على أعلى مستوى من التماهي في العمالة والطاعة لواشنطن وتل أبيب، وكان بعض زعماء الخليج يقبلون يدَّ الشاه عند استقباله، الأمر الذي يؤكّد أنَّ الصراع بين السنّة والشيعة مُفتَعل مقصود به ضرب المقاومة، وتغييب قضايا الأمّة، وعلى رأسها فلسطين.

الوهابية والتيميين من دائرة أهل السنة، وانتقاده لتصريحات بعض الأشاعرة البترودولارية والسياسية، الذين صنّفوا الوهابية كجزء من أهل السّنة، وبالمناسبة فقد أتممت مع الأستاذ فودة في أواخر التسعينيات، دراسة ثلاث دورات عقائدية دون أن أغيب يوماً واحداً عن حضور جلساتها (ثلاثة متون في العقيدة الأشعرية؛ متن الخريدة البهية للإمام أحمد الدردير، والعقيدة السنوسية الصغرى "أم البراهين" للإمام محمّد بن يوسف السنوسي، ومتن العقيدة الطحاوية المسماة بـ "بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة").

"..فحتّى سنوات قليلة مضت كـان التحـدّي الغـربي يظـنّ أنَّـه يوجّـه ضرباته النهائية القاتِلة للحضارة الإسـلامية المنهـارة، حتّـى وجّهـت الثـورة الإسلامية في إيران أوَّل سهامها للغـرب، وحقّقـت أوَّل انتـصارٍ للإسـلام في العصر الحديث، لقد عادت الحياة إلى هذا الجسد الذي ظنّوه قـد أصـبح جثّـةً هامِدةً، فها هو يستفيق من جديد، وينهض رائعاً وفتياً ومن أيـن؟ مـن حيـث كان تأثيرهم الشيطاني أشدُّ، وأقوى وأشرس ما يكون، لقد اكتشفنا ذاتنا، وها نحـن نـنهض بعـد قـرنين مـن المهانـة والـذلّ، وبعـد قـرون مـن التخلّـف والجهل..وأنَّ إثارة الهوية الـشيعية في وجـه ثـورة إيـران هدفـه إصـابة الأمّـة بالإحباط، وتمزيق وحدتها التي كانت، واستمرت هدفاً أصيلاً للثورة والدولة الإيرانية حتّى اليوم.." ثمَّ يختم الشهيد المعلّم فتحـي الـشقاقي كتابـه بعبـارةٍ بليغةٍ للإمام الخميني هي أبلغ تجسيدٍ لدعوة كـلّ المـؤمنين الرافـضين لإثـارة الخلاف بين السنّة والشيعة، وبأنَّه لا يخدم سوى تل أبيـب وواشـنطن، يقـول الإمام الخميني:

"الأيـدي القـذِرة التـي بثّـت الفِرقـة بـين الـشيعي والـسنّي في العـالم الإسلامي لا هي من الشيعة ولا من السنّة.. إنَّها أيدي الاستعمار التي تريد أن تستولي على البلاد الإسلامية من أيدينا، والدول الاستعمارية، الدول التي تريد نهب ثرواتنا بوسائلَ مختلفةٍ، وحِيَـل متعـدّدةٍ هـي التـي توجـد الفرقـة باسـم التشيّع والتسنّن"[١].

---

(١) الشقاقي، فتحي، السنة والشيعة ضجة مفتعلة ومؤسفة، ص٣٥-٦٧، نـشر المجمـع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

لقد أقمت في الجمهورية الإسلامية سنواتٍ مديدةٍ، وهي دولةٌ عظمى على رأس الحكم فيها رجال الدين، والفلسفة المنتمين لمدرسة أهل البيت (رضي الله عنهم)، وأشهد أمام الله صادقاً شهادةً أحاسب عليها يوم يقوم الأشهاد، بأنَّ آل بيت رسول الله عليهم السلام، وزوجاته وأصحابه المتقين، هم في أعلى درجات التقدير لديهم، وهنا أريد أن أؤكّد على أنَّ الواقع في إيران، بل بين إخواننا الشيعة الجعفرية الإمامية أنَّهم منقادون للمرجعية الدينية، والولي الفقيه، فهو المجتهدُ الجامع للشرائط، والذي يمثل الموقف الشيعي هو المرجعيةُ الدينيةُ ممثلةً في هذا العصر بآية الله السيد علي الخامنئي، وآية الله السيد علي السيستاني وبالطبع هناك آخرون، وعلى الشباب المسلم المقاوم أن يتعرَّف على كافَّة إخوانه المسلمين من مصادرهم، ومنابعهم الأساسية، ولو استعرضنا مواقف الولي الفقيه، أو مرجعية النجف، أو قم المقدسة سيتبين لنا عظيم حرصهم على الإسلام والمسلمين ككلّ، وأنَّهم بمثابة أمّ الصبي للأمة كلّها، ويتحملون في سبيل ذلك أذًى كثيراً، وها نحن نسمع على لسان السيد علي خامنئي "أيده الله" أنَّه يجرّم كلَّ من يمسُّ رموز أيّ مذهبٍ إسلامي، وعلى الراشدين من علماء أهل السنَّة ومثقفيهم أن يبادلوا المواقف المشرفة لإيران الإسلام، ولمرجعية إخواننا الشيعة بشكلٍ عامٍّ، بمواقف مشابهةٍ، والمستقبل الواحد الذي ينتظر الأمة يدعونا إلى توحيد الكلمة، وتجاوز الاختلاف، والاعتصام بحبل الله؛ لقطع حبال الشياطين من غرب الأرض أو شرقها.

إنَّ الجمهورية الإسلامية السائرة على هدي الإسلام، وفي طريق محمَّدٍ وعلي والحسين وأبي ذرٍّ، وعمار وسلمان الفارسي، وشهداء بدر وأحد وحنين

ومؤتة، لا تنظر في دعم المظلوم إلى مذهب المظلوم، ولقد كان هذا نهج أرساه الإمام الخميني، وسار عليه خليفته السيد القائد الخامنئي فقد كان الإمام الخميني - كما سمعت هذا الكلام مباشرةً من فم الولي الفقيه- مع المقاومة السنيَّة إن صحَّ التعبير في فلسطين كما وقف مع المقاومة الشيعية في لبنان، من دون أيّ فرقٍ، نفس الدعم الذي خصص للمقاومة الإسلامية في لبنان كان للمقاومة في فلسطين، من دون أيّ تفاوتٍ والقضية بالنسبة لإيران الإسلام هي الدفاع عن الهويَّة الإسلامية، ودعم المظلوم، القضية هي فلسطين التي تقف على رأس قضايا المنطقة والمسلمين، وتمنحها إيران قدم السبق في سياساتها وحركتها، وعندما أتيتهم شخصياً قائلاً إنَّني لاجئٌ فلسطينيٌّ إلى جبال الطالقان بين الأحبة، والشعب الأوفى لفلسطين، وبمجرد اطلاعهم على أصولي الفلسطينية أخجلوني بحسن استقبالهم، وكرم أخلاقهم بما لا يصدق، وأقسم أنَّ بعض الإيرانيين البسطاء من جيراني، وزملائي قاسمني حتّى فراشه، وأدواته المنزلية، فجزاهم الله خير الجزاء.

شهادة للتاريخ عن الصديق الأوفى لفلسطين

في عام (٢٠١٢م)، زرت قطاع غزة ضمن قافلةٍ لكسر الحصار بصفتي الصحفية، ووفقت لإنجاز تقريرٍ من مواقع المرابطين المقاومين[١]، كان هاجسي أن أسألهم على اختلاف انتماءاتهم الفصائلية سؤالاً محدَّداً: مَن هو

---

(١) منشور على الصفحة الرسمية لراديو (حياة أف أم) على فيس بوك بعنوان (أمسية مع المرابطين على خطوط التماس شرق قطاع غزة- عبد الرحمن أبو سنينة). وعلى يوتيوب أيضاً.

صديقنا؟ مَن هو ظهر المقاومة الداعم بلا منَّةٍ، إلَّا شرط مقاومة الاحتلال بطبيعة الحال؟

ورغم أجواء ما سمُّي بالربيع العربي يومها، لكن الجواب ملأ سمعي، ومن حدثوني، كانوا بدرجة لا يمكن أن يجتمعوا فيها على الكذب كان الجميع يشير إلى خطٍّ سياسيٍّ بعينه، ومحور إقليمي يمثِّل جبهة العداء غير المترددة لبني صهيون، كما أنَّ قائد حماس في غزة يحيى السنوار ظهر لاحقاً لمرات، وتحدث بلا مواربة عن دعم الجمهورية الإسلامية غير المشروط للمقاومة الفلسطينية، وأشاد بموقف الشهيد الحاج قاسم سليماني المحبّ الصادق لفلسطين. وقد التقيت ببعض الفلسطينيين ممن جمعته الصلات بالحاج سليماني، يخبرك عن دعائه الدائم الممزوج بالعبرة، بأن يكون شهيداً على ثرى القدس (رحمه الله)، هذا الرجل الذي ظلَّ الإعلام الصهيوني، والسعودي يصورانه كشخصيةٍ إرهابيةٍ لا ترحم حتّى الأطفال! ويضرب المثل به في إيران وبين المقاومين برقته، ورحمة قلبه[1].

مدرسة أهل البيت سبَّاقة في الانتصار لمظلومية فلسطين

وفي الحقيقة فإنَّ المقدسات في فلسطين، وموقعية هذه الأرض المباركة توحّد كلَّ المسلمين بكافَّة مذاهبهم سنَّةً وشيعةً، وإباضية ودروز، وفلسطين لم تغب عن خطاب الفقهاء من مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، وحتّى قبل

---

(١) رددت على هذه الفرية الأثيمة بمقالة منشورة على العديد من المواقع الإخبارية على الانترنت تحت عنوان: العقيدة القتالية لمحور المقاومة.. مَن الذي يقتل المدنيين حقاً؟ فلتراجع.

أن تبرز إلى العلن مرجعية، وحركة الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، وأستعجب عندما يردّد بعض الطائفيين التابعين للمخابرات السعودية على قنوات فتنتهم بأنَّ الجمهورية الإسلامية التي أسسها الخميني تتاجر بقضية فلسطين، أي متاجرةٍ يا ألسنة السوء الناطقة بالنيابة عن إسرائيل؟! فقهاء هذه المدرسة السائرون على خطى قالع باب خيبر حيدرة الكرار كحال العلماء الربانيين المخلصين من أهل السنَّة، يحملون الفكر الحسيني الجهاديّ، وخاصَّة ضدَّ اليهود الغاصبين، ومن شواهد ذلك أنَّه في عام (١٩٣١م) سافر المرجع الدينيّ محمَّد حسين كاشف الغطاء للقدس الشريف، وحضر مؤتمراً إسلامياً؛ لنصرة الشعب الفلسطيني والدفاع عنه، وألقى خطاباً فيه، وبياناته العديدة التي تدعم وتنصر شعب فلسطين ثابتةً موثَّقةً جمعت تلك الخطب والبيانات في كتابٍ سُمّي (فلسطين قضية المسلمين الكبرى) متوفرٌ بنسخته الإلكترونية على شبكة الانترنت، وأيضاً فلسطين كانت حاضرة وبقوةٍ في خطبِ وبيانات المراجع أمثال السيد مُحسن الحكيم، والسيد محمَّد باقر الصدر والسيد أبو القاسم الخوئي، ولم تغب عن خطبهم وفتاويهم وبياناتهم، وبما أنَّ مقلديهم في أرجاء العالم الإسلاميّ لا يختلف رأيهم العام، ومزاجهم عن مراجع الدين؛ لذلك تجد فلسطين حاضرةً في وجدانهم العام، ومؤخراً عندما عقدت القمة الروحية بين بابا الفاتيكان، والمرجع الكبير آية الله علي السيستاني في النجف الأشرف[1]، فإنَّ البلد المستضعف الذي قدم ذكره في كلام المرجع السيستاني،

---

(١) في آذار ٢٠٢١ قام البابا فرانسيس بزيارة إلى العراق، وقد شهدت مدينة النجف الأشرف قمّة روحيّة مسيحيّة إسلاميّة جمعت المرجع الديني آية الله السيّد علي

وبياناته المنشورة هو فلسطين، ومظلومية شعبها.

وأعتقد أن على الفلسطينيين بالـذات الـذين خـبروا الـصديق الإيـراني الوفي، وأهل المقاومة بالخصوص أن يتصدُّوا للإعلام الفتنوي العميل الـذي يحاول أن يسوق عـدواً للعـرب غـير الكيـان الـصهيوني، وعلينـا كمقـاومين وفلسطينيين أن لا نسمح لهم بحـرف البوصـلة عـن العـدو الحقيقـي بخلـق أعذارٍ، وحججٍ طائفيةٍ؛ من أجل إخفاء الحقائق، وترك فلسطين وحيدةً تواجه الآلة العسكرية الصهيونية بصدورٍ عارية(١)..

كلُّ ما عندنا من نهضة الخميني

انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني حسينّي النهج الثـائر الإسلامي الأُممي الاستثنائي، يعدّ من دون مبالغةٍ انقلاباً غـيّر المعـادلات الدوليـة، والتوازنات الإستراتيجية في العالم وحضر كمنافسٍ ناشئٍ جديدٍ يشكل خطراً عـلى

السيستاني وبابا روما، تمحورت حول التحديات الكبيرة التي تواجههـا الإنـسانية في هذا العصر، وبحسب بيان مكتب السيد السيستاني حينها، فإنَّ المرجع الديني تحـدَّث عمَّا يعانيه الكثيرون في مختلف البلدان من الظلم والقهر، والفقر والاضـطهاد الـدينيّ والفكري، وكبت الحريات الأساسية، وغياب العدالة الاجتماعية، وخصوصاً ما يعاني منه العديد مـن شـعوب منطقتنـا مـن حـروبٍ وأعـمال عنـف وحـصار اقتـصادي، وعمليات تهجير وغيرها، ولا سيما الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة.

(١) للوقوف على دور حرس الثورة الإسلامية في إيران المشرّف مع المقاومة الفلـسطينية، وبخاصَّة قوة القدس بقيادة الشهيد قاسم سليماني، ويمكنك مراجعـة الوثـائقي عـلى قناة الميادين (شهيد القدس)، فهـو علمـيٌ شـاملٌ يـستحقّ المـشاهدة، ومتـوفّرٌ عـلى يوتيوب.

مصالح الغرب المتسلط، ومهدداً بانكسار المشروع الصهيو- أمريكي في المنطقة.

ومن الأيام الأولى لهذا الانتصار، بل قبل ذلك وبجهود أبناء خطّ الإمام الخميني بدأ يتشكل عهدٌ جديدٌ مقاومٌ ظهرت ملامحه بوضوحٍ من خلال المفاهيم، والمضامين الإنسانية التي حملتها الثورة (محاربة الظلم والاستبداد، ونصرة المستضعفين) تحت شعار (لا شرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية)، لتستحق إيران الجديدة المقاومة قيادة الصراع مع القوى الاستكبارية والتي يقف الكيان الصهيوني، وأمريكا على رأس لائحتها، وقد وجد الإمام الخميني في الكيان الصهيوني الخطر الأساسي، والذي وصفه بالغدَّة السرطانية، فهو كيانٌ غاصبٌ احتلَّ أرض المسلمين ومقدساتهم، وشرَّد شعباً بأكمله؛ ليقيم كياناً يكون رأس حربة للاستعمار الغربي، يعمل على مسخ هوية الشعب الفلسطيني بل هوية المنطقة برمتها، كيانٌ غاصبٌ يقوم على التوسع، والعدوان، وبقي يعمل لإقامة (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات، ولم يوقف هذا المشروع إلَّا المقاومة التي أحياها الإمام الخميني بعد أن كانت منطقتنا على وشك الغرق الكامل في الزمن الصهيوني اللعين.

ولم تمضِ أيامٌ على انتصار الثورة الحسينية الخمينية حتّى وفد إلى إيران أوَّل الضيوف بلا منازعٍ (وفد فلسطين)، وكلَّ من يرتبط بالمقاومة الفلسطينية، وعلى رأسهم ياسر عرفات[1]، وبدأ بالفعل تعاون جادٍ وتشبيك الخيوط مع كلّ مقاومٍ شريفٍ قبل أن يسعى المرتبطون بالاحتلال، ومشيخات النفط من أدعياء الثورة الفلسطينية بتخريبه، بعد الخميني ظهرت إلى السطح نظرية

(١) بما يمثّل في الظاهر آنذاك.

جديدة في الصراع مع الصهاينة تمثَّلت بـالطرح الإسـلامي الثـوري المقـاوم، الذي قاد المواجهة الفعلية مـع جـيش الاحـتلال في لبنـان، وأدَّى إلى هزيمـة المشروع الصهيوني الأمريكي؛ لجعل لبنان الدولة الثانيـة التـي توقـع معاهـدة صُلحٍ مع الكيان الصهيوني في (١٣ أيار ١٩٨٢م)، والذي سرعان ما أسـقط من خلال انتفاضة شعبية كان الخمينيون صُلبها، وامتـدَّت التـأثيرات؛ لتنـتج انتعاشاً في الحالة الثورية داخل فلسطين، ولتنطلق انتفاضة الحجارة الأولى ثـمَّ لتتشكل كذلك حركات تحرريةٍ إسلاميةٍ ووطنية.

وبقيت الميادين مشتعلة ناراً على الاحـتلال في فلـسطين ولبنـان بـوحي تأثير الكفاح الخميني، وتعاظمت المقاومة المدعومة مـن أعـلى الهـرم في إيـران الإسلام يتردد صدى شعاراتها من حناجر المقـاومين الـزاحفين نحـو مواقـع العدو (حرباً حرباً حتّى النصر، زحفاً زحفاً نحو القدس) وهو شعارٌ تـرددت أصداؤه في أجواء بيت المقدس، وغزة العزة، وكلّ حواضر فلسطين.

واستمرت عظمة الفعل المقاوم رغم التضحيات والآلام، إلى أن وصلنا إلى العيد الكبير يوم المقاومة، والتحرير وانـدحار العـدو مـن جنـوب لبنـان، وانسحابه دون قيدٍ أو شرطٍ بفعل ضربات المقاومة الإسـلامية بقيـادة حـزب الله، ولاحظوا كيف يستمرُّ هذا النهج وكيف تتغذى المقاومات وتستلهم مـن بعـضها؛ فبعـد ثلاثـة أشـهرٍ عـلى تحريـر جنـوب لبنـان انـدلعت الانتفاضـة الفلسطينية الثانية، أو انتفاضة الأقـصى في (٢٨ أيلـول٢٠٠٠م)، واسـتمرت خمسَ سنواتٍ تُوجَّت بالتحرير الأوَّل عـلى مـستوى فلـسطين (عـام ٢٠٠٥) باندحار الصهاينة من كافَّة المستوطنات حـول غـزة، والتـي رفـض سـاكنيها الخروج، حتّى اضطرَّ الجيش الصهيوني أن يبيّن لهم أنَّه لن يتمكن من حمـايتهم

من الضربات المستمرة للمقاومة، وأنَّ عملية بسط جيش الاحتلال سيطرته على غزة مستحيلةٌ، وأنَّ الجيش يُستنزف تحت ضربات المقاومة، فتمّ نقل المستوطنين إلى الداخل المحتل، وما يسمى غلافَ غزة، ودفع تعويضات كبيرة لهم، أمّا الفشل الصهيوني الآخر بعد انسحابهم، فهو في عجزهم عن دعم سلطةٍ متعاونةٍ مع الاحتلال، كما حصل في الضفة؛ لتصل غزة إلى أسوأ سيناريو يمكن أن يتخيله العدو: أرضٌ محرَّرةٌ يحكمها المقاومون، فاضطر إلى حصارها؛ ليكسب عبر ذلك التضييق عليها، وتشويه صورة الحياة فيها، وأنَّها الجحيم مع وجود المقاومة في المنطقة الفلسطينية الأولى المحرَّرة منذ النكبة، بيد أنَّه لا يصحُّ إلَّا الصحيح؛ لتُثبت لنا غزَّة من قبل الحصار كما من بعده، وخلال عدَّة حروبٍ أنَّها ليست فقط أرضاً محرَّرةً، بل دافعةً للتحرير أيضاً.

ثمَّ جاء حصاد الثورة الإسلامية الإيرانية، وبلغ أوجه عندما أجهض ولادة الشرق الأوسط الجديد برعاية أمريكا، فقد أعطى انتصار تموز[١]

---

(١) عرفت هذه الحرب الأمريكية الصهيونية على لبنان بحرب الـ ٣٣ يوماً، أو حرب تموز أو حرب لبنان الثانية، بدأت يوم ١٢ تموز ٢٠٠٦م على الحدود اللبنانية الفلسطينية، وانتهت بتاريخ ١٤/ آب/ ٢٠٠٦م، تنفيذاً لما عرف بالقرار رقم ١٧٠١ الصادر عن مجلس الأمن. في هذه الحرب تخطّى عدد قتلى الجيش الإسرائيلي لأوّل مرةٍ في تاريخ الصراع عدد شهداء الطرف المقابل، إذ خسرت (إسرائيل) ١١٧ جندياً وضابطاً في مقابل ٧٤ شهيداً من صفوف حزب الله العسكريين، بينما خسر الصهاينة في حرب الأيام الستة ١٦ جندياً فقط. تقارير الجيش الإسرائيلي ذكرت أيضاً أنَّ ٢٤٥ جندياً في صفوفه أصيبوا بأمراضٍ نفسيةٍ؛ بسبب الصدمات التي تعرضوا لها خلال الحرب، ولم يستطع سلاح الجو الإسرائيلي من تحقيق إنجازٍ جوهريٍ، فلجأ إلى تدمير البنى

٢٠٠٦[(١)] نموذجاً آخر ومختلفاً، ولاقت ثقافة الانتصار صداها على المستوى العالمي لدى الأحرار والشرفاء، واستطاعت المقاومة في كلّ من لبنان وفلسطين، والعراق إعادة البناء النفسيّ، والمعنويّ للشباب العربي بولادة ثقافةٍ مقاومةٍ شعبيةٍ كان لوسائل الإعلام المقاومة دوراً في نقل الوعي من خلال فضح الوحشية الإجرامية، ونقل ثبات وصمود قوّة الممانعة، والمقاومة

التحتية، وقصف البيوت، والأبنية دون نتائج ميدانيةٍ عسكريةٍ، واعتبر تدمير مروحيتين خلال الحرب قمَّة عجز سلاح الجو، كما حاولت فرق الكوماندوس الصهيونية خلال الحرب توجيه ضربات للمقاومة اللبنانية من خلال إنزال خلف الخطوط الدفاعية للمقاومة إلَّا أنَّ كلَّ المحاولات باءت بالفشل، وكان من ضمنها عملية محاولة أسر العلامة الشيخ محمّد يزبك ممثّل السيد حسن نصر الله في بعلبك، وأخيراً اعتمد الجيش الصهيوني أسلوب الحرب عن بعد، حيث أمطرت طائراته مختلف المناطق اللبنانية بالصواريخ عبر أكثر من ١٥ ألف غارةٍ وبقي سلاح البحر الإسرائيلي مدّة ٨ آلاف ساعة حاضراً في مقابل الساحل اللبناني؛ بهدف تضييق الحصار والخناق، ثمَّ اضطّر للتراجع بعد تدمير البارجة "ساعر ٥" والذي كان مفاجأة من العيار الثقيل على الصهاينة.

(١) بعد الانتصار الإلهي في تموز ٢٠٠٦م خرج الشباب الفلسطيني في الداخل، والشتات محتفلاً بنصر لبنان، يرفعون صور السيد نصر الله والشهداء اللبنانيين، وهنا تدخلت المخابرات الدولية، فخرج المدعو ياسر الحبيب في لندن يثير كلاماً ليس في محله؛ وهدفه إثارة الفتنة الطائفية بالتزامن مع الهجوم الوهابيّ السعوديّ على حزب الله، فكانت أجهزة المخابرات العربية عندما تعتقل المحتفلين بانتصار حزب الله يعرضون عليهم مقاطع ياسر الحبيب باعتباره مرجعاً شيعياً وأحياناً على أنّه قياديٌّ في حزب الله!! لإجهاضِ انجذاب الشباب للفكر الثوريّ المقاوم ضدّ الصهاينة.

في وجه المحتلين والمعتدين ومن جديد كان صمود غزة ٢٠٠٨ حصاداً آخر أعطى نموذجاً مختلفاً للتصدّي، والصمود في وجه الغطرسة والهيمنة الصهيو- أمريكية التي تحطّم قوامها في المنطقة وإن على المدى البعيد.

وإذا كنَّا بالفعل قد نهلنا من النهج الخمينيّ، والإسلام الثوريّ المحمديّ الأصيل، لكن علينا أن نعلم أنَّ كلَّ ما تحقّق لإيران والشعب الإيراني من ثورةٍ وعزةٍ وكرامةٍ، وتقدُّمٍ وخير هو من فكر كربلاء ومن عاشوراء، وثقافة التفاني، والإيثار الحسينية. كما كان يؤكّد دائماً السيد الخميني (رحمه الله)، وعندما نبحث في كلماته نجد أنَّ كربلاء الحسين (عليه السلام) كانت تسكن قلبه وعقله وفكره وروحه، وأن سيرة ومواقف حفيد النبيّ (عليهما السلام) كانت تحكم سلوكه، وعمله ومواقفه، وهو القائل: "لولا نهضة الحسين (عليه السلام) لما استطعنا تحقيق النصر في ثورتنا.."[1] حتّى صار بحقّ حسين القرن العشرين الذي شاء الله له أن ينتصر، ويحقق جزءاً من أهداف كربلاء؛ لذا كان من الطبيعي أن يتمثل السيد الخميني في تفاصيل جهاده اليومي، وفي خطبه ومواقفه التي كان يطلقها إبان أحداث الثورة الإسلامية تفاصيل أحداث ثورة الحسين ومواقفه وكلماته، ومواقف وكلمات أصحابه وأهل بيته (عليه السلام)، فشعار (هيهات منا الذلَّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون) كان الموقف الحاسم الذي يعبّر عن رفض جميع التسويات المذلّة التي كان يُراد من خلالها إسقاط الثورة، وخنقها في الشوارع المنتفضة على أذناب أمريكا في إيران.

---

(١) الإمام الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء، نشر دار الوسيلة، بيروت، ص٦٥.

ومقالة قدوةُ الشباب علي الأكبر ابن الحسين (عليه السلام) التـي قالهـا لأبيه (عليه السلام): "يا أبتِ، ألَسنا على الحقّ؟ فقـال الإمـام الحـسين (عليـه السلام): بلى، والله. فقال عليٌّ الأكبر: إذاً لا نبالي أوقعنـا عـلى المـوت أم وقـع الموت علينا"[١] كانت المقالة التي حركَّت ملايين الشباب الإيرانيين؛ ليندفعوا إلى شوارع المدن الإيرانية طالبين إحدى الحـسنيين (إمّـا النـصر أو الـشهادة)، هؤلاء الشباب الذين كان يخاطبهم الإمام الخميني؛ ليقول لهم إنّي كلّما نظـرت إلى تضحياتكم خجلت من نفسي[٢].

ومقالة الحسين (إنّي لا أرى الموت إلّا سعادةً، والحيـاة مـع الظـالمين إلّا برماً) كانت المنطلق لثورة الإمام الخميني على الملك الظالم الـذي حـوّل حيـاة الشعب الإيراني إلى جحيم، فقدَّم الإمام الموت والـشهادة عـلى الحيـاة في ظـلّ هذا الملك الظالم، ووضع دمه على كفه مقدماً سعادة الموت على الحياة السوداء.

وكما جدّه الحسين الذي قال (والله لو لم يبقَ ملجأ، ولا مأوى لما بايعـت يزيد بن معاوية)[٣] كان الإمام يقول لو بقيت أنتقـل مـن مطـار إلى آخـر كـلَّ حياتي لما سكتُّ، ولما تخليت عن مواجهة الملك الظالم[٤].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٠٨؛ ابن الأثير، عـلي بـن محمّـد الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥١.

(٢) شاهدت فيديو بالفارسية يقول فيه السيّد الخميني ذلك لجمع من شباب الثورة.

(٣) ابن أعثم، أحمد، الفتوح، ج٥، ص٢٣، الخوارزمي، مقتل الحـسين (عليـه الـسلام)، ج١، ص١٨٨.

(٤) عندما أوصدت الدول أبوابها في وجه السيد الخميني مراهنين على استسلامه، أطلـق هذا الموقف الشهير الذي جعلهم يرضخون لمطالبه.

لقد كان الإمام يؤمن بانتصار الدم على السيف، وأن للدَّم القـدرة عـلى هزيمة كلّ الآلة الفولاذية لجيش الطغيان، ومـن ورائـه الـصهاينة وأن تجربـة كربلاء، وانتصارها يمكن أن تتكرر في أيّ عصر، وقد استخدم رحمـه الله هـذا الشعار كثيراً في مفردات ثورته وهو القائل: لقـد انتـصر الـدم عـلى الـسيف، أترون آثاره باقية حتّى اليوم حيث ظلَّ النـصر حليفـاً لـسيد الـشهداء (عليـه السلام)[1].

أمَّا الشعار المركزي الأقوى الذي ترجم كلَّ مفردات الثـورة الحـسينية، وضخَّها في قلبٍ وجسَّد ثورة العصر فقد كان شعار (كلُّ يـوم عاشـوراء كـلُّ أرض كـربلاء) حيـث اسـتطاع الإمـام أن يستحـضر شـعارات عاشـوراء، وكـربلاء إلى سـاحة الثـورة الإسـلامية في إيـران؛ ليجعـل مـن إيـران أرضـاً كربلائية، ويحول العصر الحاضر إلى عصرٍ عاشورائي ينـبض بـالثورة، والـدم وعطر الشهادة، وعطاء الإيثار والتـضحية، ثـمّ لينتقـل هـذا الأريـج إلى كـلّ ساحات الجهاد والمقاومة في فلسطين ولبنان، والعراق واليمن، بل الكثير مـن الساحات التي تنتظر اللَّحظة المناسبة؛ لسحق الاستكبار وأعوانه أينما وجدوا.

ولقد استطاع السيد الخميني أن ينفي عن هـذا الـشعار كـما عـن بـاقي شعارات الثورة الحسينية ما علق بها عبر الزمن من تـشوهاتٍ في الفهـم. لـذا كان حريصاً على توضيح معنى الـشعارات الحـسينية ومـن ذلـك قولـه: (إنَّ مقولة كلُّ يوم عاشوراء وكلُّ أرض كربلاء) مقولةً كـبرى لكنَّهـا تُفهـم فهـماً مغلوطاً، فبعضهم يتصور أنَّها تعني أنَّنا ينبغي أن نبكي كلّ يـوم، أمَّـا محتواهـا

(١) الإمام الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء، ص٦٤.

غير هذا، لو نظرنا إلى دور كربلاء في يوم عاشوراء لأدركنا أن على كـلّ أرض أن تكون كذلك، أن تمارس دور كربلاء، ذاك الميدان الـذي خـاض فيـه سـيد الشهداء (عليه السلام) غمار الحرب ومعه ثلة قليلة فصمدوا وقاوموا وقتلـوا ورفضوا الظلم وهزموا يزيـد ودحـروه، هكـذا ينبغـي أيـضاً أن تكـون بقيـة البلدان وينبغي لنا أن نقف في وجه الظلم في كلّ يـومٍ، ونعتـبر أنَّ هـذه أيـضاً أرض كربلاء، وعلينا أن نعيد فيها دور كربلاء[1]. لقـد كـان الـسيد الخمينـي يعتقد أنَّ الثورة الإسلامية في إيران شعاع مـن عاشـوراء، وأنَّ حيـاة الـشعب الإيراني واستمرار عزته رهنٌ بإحياء قيم وشعاراتِ عاشـوراء، وأنَّ في إحيـاء ذلك كلّه صوناً للثورة وللشعب، ولطالما افتخر بأنَّ شهداء الثورة الإسـلامية هم كشهداء كربلاء الذين كان يتمنى أن يكون واحداً منهم، وكان يعتبر نفسه خادماً لهم[2].

---

(١) الإمام الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء، ص٧١.

(٢) بعض الفقرات الأخيرة بتصرّف عن مقالـة للأسـتاذ حـسن حمـادة في مجلـة بقيـة الله اللبنانية السنة العشرون العـدد ٢٣١ ملف العـدد الشعار الحسيني في خطاب الإمام الخميني.

فهرس المحتويات